المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

http : //www. al - mokhtar. com

العدد ٢٢٥ - السنة ٢٢ - ١٥ جماد أول ١٤٢٢ هـ - ٥ أغسطس ٢٠٠١ م - الثمن ثلاثة جنيهات

الإعلام الراقص فى زمن القتل !!

بقلم : سلوى عبد المعبود

تركيا تمنع الفضيلة... وتناصر الرذيلة !

الآداب العامة
بقلم :
د. محمد يحيى

مقدونيا والحقيقة الغائبة

روسيا والصين تعلنان الحرب على المسلمين

حوار الشهر مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسى

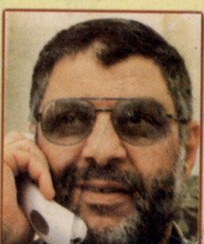

بسم الله الرحمن الرحيم

زادنا ... زادنا ... زادنا ... زادنا

السلام عليكم ١

حديث الشهيد ٢

خواطر مسلم .... د. محمد مورو ٨

أضواء .... د. محمد يحيى ٦١

شهريات .... د . عبد الفتاح الحسينى ٣٤

حوار الشهر مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسى ٥٢

مقدونيا الحقيقة الغائبة .... محمد يوسف عدس ٤٦

أمن الأمة الإسلامية .... د. إدريس الكتانى ٦٠

الاحتيال على الحقيقة والبطش بها ... د . صلاح عز ٦٩

نافذة على العالم الإسلامى .. د . عبد الودود شلبى ٧٢

الموت يغيب الدكتور محمود حماية ٨٠

الإعلام الراقص فى زمن القتل !.. سلوى عبد المعبود ٨٢

عمر يظهر فى القدس .... د . نجيب الكيلانى ٨٩

مفتاح مجلة المختار الإسلامى على شبكة الإنترنت

httb : //www. al - mokhtar. com

المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

أسسها

حسين عاشور

(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)

تصدر فى منتصف

كل شهر عربى

رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩

رئيس التحرير

د . محمد مورو

سكرتير التحرير

حازم محمد

الإشراف الفنى

على عبيد

المراسلات :

القاهرة ص ب ١٧٠٧

الرمز البريدى ١١٥١١

تليفون ٠١٠٠٥٨٥٢٧٦٢

فاكس ٧٩٥٢٦٤٠

الاشتراك السنوى :

داخل مصر ٥٠ جنيها

خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا

المراسلات والحوالات والشيكات

باسم المختار الإسلامى

السلام عليكم

- تركيا تمنع الفضيلة.. وتناصر الرذيلة !!!..

قرار المحكمة الدستورية فى تركيا بحل حزب الفضيلة ، وهو ثالث أكبر الأحزاب الديموقراطية التركية - المزعومة - لا يكشف فقط عوار العلاقات السياسية بين العسكر والأحزاب فى تركيا ، ولا عوار الصبغة الديموقراطية فى تركيا ، ولا النظام السياسى التركى برمته الذى يحتاج إلى تعديل يحول دون حدوث مثل هذا الخلل بعد ذلك بل يكشف أيضا زيف العلمانية والديموقراطية عموما ، ويؤكد من جديد أن الحديث عن لا ديموقراطية الإسلاميين ، ولا ديموقراطية الآخرين ما هو إلا كذب فج ، ذلك أن الإسلاميين الأتراك ارتضوا الصبغة الديموقراطية قولا وعملا ، ودخلوا الانتخابات وعقدوا التحالفات ووصلوا إلى كراسى الوزارة ورئاسة الوزارة ولم ينقلبوا على الديموقراطية ، بل الآخرون - التحالف العسكرى العلمانى - هم الذين انقلبوا على الديموقراطية ، ومارسوا كل أساليب التجاوزات من أجل منع الإسلاميين من المشاركة ، وهو جزء من مؤامرة لدفع الإسلاميين إلى العنف ، وتفكيك المجتمع التركى فى النهاية خدمة للأهداف الغربية العليا .

وينبغى على الإسلاميين أن يفوتوا هذه الفرصة على أعداء الإسلام وتركيا ، وفى هذا الصدد فإننا يجب أن نشير إلى أن التحالف العسكرى العلمانى المتعاون مع إسرائيل هو ذاته الذى يحارب الإسلاميين .

رئيس التحرير

سيد قطب

حديث الشهيد :

ويل للمطففين

هذه السورة تصور قطاعا من الواقع العملى الذى كانت الدعوة تواجهه فى مكة - إلى جانب ما كانت تستهدفه من إيقاظ القلوب، وهز المشاعر ، وتوجيهها إلى هذا الحدث الجديد فى حياة العرب وفى حياة الإنسانية ، وهو الرسالة السماوية للأرض ، وما تتضمنه من تصور جديد شامل محيط .

هذا القطاع من الواقع العملى تصوره السورة فى أولها ، وهى تتهدد المطففين بالويل فى اليوم العظيم ، "يوم يقوم الناس لرب العالمين" .. كما تصوره فى ختامها وهى تصف سوء أدب الذين أجرموا مع الذين آمنوا وتغامزهم عليهم ، وضحكهم منهم ، وقولهم عنهم : "إن هؤلاء لضالون" .

وهذا إلى جانب ما تعرضه من حال الفجار وحال الأبرار ، ومصير هؤلاء وهؤلاء فى ذلك اليوم العظيم .. وهى تتألف من أربعة مقاطع .. يبدأ المقطع الأول منها بإعلان الحرب على المطففين :

﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟.. يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟.. ﴾

ويتحدث المقطع الثانى عن الفجار فى شدة وردع وزجر ، وتهديد بالويل والهلاك ، ودمغ بالإثم والاعتداء ، وبيان لسبب هذا العمى وعلة هذا الانطماس ، وتصوير لجزائهم يوم القيامة ، وعذابهم بالحجاب عن ربهم كما حجبت الآثام فى الأرض قلوبهم ، ثم بالجحيم مع الترذيل والتأنيب :

﴿ كلا .. إن كتاب الفجار لفى سجين ، وما أدراك ما سجين ؟.. كتاب مرقوم .. ويل يومئذ للمكذبين !!.. الذين يكذبون بيوم الدين .. وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ،

إذا تتلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين .. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .. كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون .. ثم إنهم لصالوا الجحيم .. ثم يقال : هذا الذى كنتم به تكذبون ﴾ ..

والمقطع الثالث يعرض الصفحة المقابلة .. صفحة الأبرار .. ورفعة مقامهم .. والنعيم المقرر لهم .. ونضرته التى تفيض على وجوههم .. والرحيق الذى يشربون وهم على الأرائك ينظرون .. وهى صفحة ناعمة وضيئة:

﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين .. وما أدراك ما عليون ؟.. كتاب مرقوم ، يشهده المقربون .. إن الأبرار لفى نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك - وفى ذلك فليتنافس المتنافسون - ومزاجه من تسنيم .. عينا يشرب بها المقربون ﴾ ..

والمقطع الأخير يصف ما كان الأبرار يلاقونه فى عالم الغرور الباطل من الفجار من إيذاء وسخرية وسوء أدب .. ليضع فى مقابلة ما آل إليه أمر الأبرار وأمر الفجار فى عالم الحقيقة الدائم الطويل .

﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين .. وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالون .. وما أرسلوا عليهم حافظين .. فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون .. هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ؟..... ﴾

والسورة فى عمومها تمثل جانبا من بيئة الدعوة ، كما تمثل جانبا من أسلوب الدعوة فى مواجهة واقع البيئة ، وواقع النفس البشرية .. وهذا ما سنحاول الكشف عنه فى عرضنا للسورة بالتفصيل ..

﴿ ويل للمطففين : الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون .. ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم : يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟.. ﴾ ..

تبدأ السورة بالحرب يعلنها الله على المطففين : "ويل للمطففين".. والويل : الهلاك .. وسواء كان المراد هو تقرير أن هذا أمر مقضى ، أو أن هذا دعاء ، فهو فى الحالين واحد فالدعاء من الله قرار .

وتفسر الآيتان التاليتان معنى المطففين .. فهم : ﴿ الذين اكتالوا على الناس يستوفون .. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ .. فهم الذين يتقاضون بضاعتهم وافية إذا كانوا شراة .. ويعطونها للناس ناقصة إذا كانوا بائعين ..

ثم تعجب للآيات الثلاثة التالية من أمر المطففين ، الذين يتصرفون كأنه ليس هناك حساب على ما يكسبون فى الحياة الدنيا ، وكأن ليس هناك موقف جامع بين يدى الله فى

يوم عظيم يتم فيه الحساب والجزاء أمام العالمين : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟.. يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟. ﴾ .

والتصدى لشأن المطففين بهذا الأسلوب فى سورة مكية أمر يلفت النظر .. فالسورة المكية عادة توجه اهتمامها إلى أصول العقيدة الكلية : كتقرير وحدانية الله ، وانطلاق مشيئته ، وهيمنته على الكون والناس .. وكحقيقة الوحى والنبوة .. وكحقيقة الآخرة والحساب والجزاء .. مع العناية بتكوين الحاسة الأخلاقية فى عمومها ، وربطها بأصول العقيدة .. أما التصدى لمسألة بذاتها من مسائل الأخلاق - كمسألة التطفيف فى الكيل والميزان - والمعاملات بصفة عامة ، فأمر جاء متأخرا فى السورة المدنية عند التصدى لتنظيم حياة المجتمع فى ظل الدولة الإسلامية وفق المنهج الإسلامى .. الشامل للحياة .

ومن ثم فإن التصدى لهذا الأمر بذاته فى هذه السورة المكية أمر يستحق الانتباه .. وهو يشي بعدة دلالات متنوعة ، تكمن وراء هذه الآيات القصار .

إنه يدل أولا على أن الإسلام كان يواجه فى البيئة المكية حالة صارخة من هذا التطفيف يزاولها الكبراء ، الذين كانوا فى الوقت ذاته هم أصحاب التجارات الواسعة التى تكاد تكون احتكارا .. فقد كانت هنالك أموال ضخمة فى أيدى هؤلاء الكبراء يتجرون بها عن طريق القوافل فى رحلتى الشتاء والصيف إلى اليمن وإلى الشام .. كما افتتحوا أسواقا موسمية كسوق عكاظ فى موسم الحج ، يقومون فيها بالصفقات ويتناشدون فيها الأشعار !!..

والنصوص القرآنية هنا تشى بأن المطففين الذين يتهددهم الله بالويل ، ويعلن عليهم هذه الحرب ، كانوا طبقة الكبراء ذوى النفوذ ، الذى يملكون إكراه الناس على ما يريدون .. فهم يكتالون "على الناس" .. لا من الناس .. فكأن لهم سلطانا على الناس بسبب من الأسباب ، يجعلهم يستوفون المكيال والميزان منهم استيفاء وقسرا .. وليس المقصود هو أنهم يستوفون حقا .. وإلا فليس فى هذا ما يستحق إعلان الحرب عليهم .. إنما المفهوم أنهم يحصلون بالقسر على أكثر من حقهم ، ويستوفون ما يريدون إجبارا .. فإذا كالوا للناس أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس ، دون أن يستطيع هؤلاء منهم نصفة ولا استيفاء حق .. ويستوي أن يكون هذا بسلطان المال وحاجة الناس لما فى أيديهم منه ، واحتكارهم للتجارة حتى يضطر الناس إلى قبول هذا الجور منهم ، كما يقع حتى الآن فى الأسواق .. فقد كانت هناك حالة من التطفيف صارخة

استحقت هذه اللفتة المبكرة .

كما أن هذه اللفتة المبكرة فى البيئة المكية تشى بطبيعة هذا الدين ، وشمول منهجه للحياة الواقعية وشئونها العملية ، وإقامتها على الأساس الأخلاقى العميق الأصيل فى طبيعة هذا المنهج الإلهى القويم .. فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم والانحراف الأخلاقى فى التعامل ، وهو لم يستلم بعد زمام الحياة الاجتماعية ، لينظمها وفق شريعته بقوة القانون وسلطان الدولة ..

وأرسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل على المطففين .. وهم يومئذ سادة مكة ، أصحاب السلطان المهيمن - لا على أرواح الناس ومشاعرهم عن طريق العقيدة الوثنية فحسب ، بل كذلك على اقتصادياتهم وشئون معاشهم .. ورفع صوته عاليا فى وجه الغبن والبخس الواقع على الناس وهم جمهرة الشعب المستغلين لكبرائه المتجرين بأرزاقه ، المرابين المحتكرين ، المسيطرين فى الوقت ذاته على الجماهير بأوهام الدين !!.. فكان الإسلام بهذه الصيحة المنبعثة من ذاته ومن منهجه السماوى موقظا للجماهير المستغلة .. ولم يكن قط مخدرا لها حتى وهو محاصر فى مكة ، بسطوة المتجبرين ، المسيطرين على المجتمع بالمال والجاه والدين !!

ومن ثم ندرك طرفا من الأسباب الحقيقية التى جعلت كبراء قريش يقفون فى وجه الدعوة الإسلامية هذه الوقفة العنيدة .. فهم كانوا يدركون - ولا ريب - أن هذا الأمر الجديد الذى جاءهم به محمد ﷺ ليس مجرد عقيدة تكمن فى الضمير ، ولا تتطلب منهم إلا شهادة منطوقة ، بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. وصلاة يقيمونها لله بلا أصنام ولا أوثان .. كلا لقد كانوا يدركون أن هذه العقيدة تعنى منهجا يحطم كل أساس الجاهلية التى تقوم عليها أوضاعهم ومصالحهم ومراكزهم .. وأن طبيعة هذا المنهج لا تقبل مثنوية ولا تلتئم مع عنصر أرضى غير منبثق من عنصرها السماوى ، وأنها تهدد كل المقاومات الأرضية الهابطة التى تقوم عليها الجاهلية .. ومن ثم شنوا عليها تلك الحرب التى لم تضع أوزارها لا قبل الهجرة ولا بعدها .. الحرب التى تمثل الدفاع عن أوضاعهم كلها فى وجه الأوضاع الإسلامية .. لا عن مجرد الاعتقاد والتصور المجردين .

والذين يحاربون سيطرة المنهج الإسلامى على حياة البشر فى كل جيل وفى كل أرض يدركون هذه الحقيقة .. يدركونها جيدا .. ويعلمون أن أوضاعهم الباطلة ، ومصالحهم المغتصبة ، وكيانهم الزائف .. وسلوكهم المنحرف .. هذه كلها هى التى يهددها المنهج الإسلامى القويم الكريم !!..

والطغاة البغاة الظلمة المطففون - فى أية صورة من صور التطفيف فى المال أو سائر الحقوق والواجبات - هم الذين يشفقون أكثر من غيرهم من سيطرة ذلك المنهج العادل النظيف !!.. الذى لا يقبل المساومة ، ولا المداهنة ، ولا أنصاف الحلول ؟..

ولقد أدرك ذلك الذين بايعوا رسول الله ﷺ من نقباء الأوس والخزرج بيعة العقبة الثانية قبل الهجرة : قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى أخو بنى سالم بن عوف :

يا معشر الخزرج .. هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟..

قالوا : نعم ..

قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس .. فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن !!.. فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة .. وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ..

قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف .. فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ ..

قال : "الجنة" ..

قالوا : ابسط يدك .. فبسط يده فبايعوه .

فقد أدرك هؤلاء - كما أدرك كبراء قريش من قبل - طبيعة هذا الدين .. وأنه قائم كحد السيف للعدل والنصفة وإقامة حياة الناس على ذلك ، لا يقبل من طاغية طغيانا ، ولا من باغ بغيا ، ولا من متكبر كبرا .. ولا يقبل للناس الغبن والخسف والاستغلال .. ومن ثم يحاربه كل طاغ باغ متكبر مستغل ، ويقف لدعوته ولدعاته بالمرصاد .

﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم .. يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟.. ﴾ .

وإن أمرهم لعجيب .. فإن مجرد الظن بالبعث لذلك اليوم العظيم .. يوم يقوم الناس متجردين لله رب العالمين ، ليس لهم مولى يومئذ سواه ، وليس بهم إلا التطلع لما يجريه عليهم من قضاء ، وقد علموا أن ليس لهم من دونه ولى ولا نصير ..

إن مجرد الظن بأنهم مبعوثون لذلك اليوم كان يكفى ليصدهم عن التطفيف ، وأكل أموال الناس بالباطل ، واستخدام السلطان فى ظلم الناس وبخسهم حقهم فى التعامل .. ولكنهم ماضون فى التطفيف كأنهم لا يظنون أنهم مبعوثون !!.. وهو أمر عجيب ، وشأن غريب !!..

سيد قطب

حلم التسوية النهائية

في الذكرى الثامنة لتدمير مسجد بابر في أيوديا بالهند على أيدى الدهماء الهندوس كتب الصهيونى "دانييل بايبس" : إن اليهود يخططون لبناء هيكل سليمان فى الوقت نفسه الذى يخطط فيه الهندوس لبناء معبد الإله "رام" فى موقع المسجد البابرى قريبا ، وهو ما قد ينجح فى صرف انتباه المسلمين عن القدس التى ظل متعلقا بها لفترة طويلة .

ومؤخرا أعلن وزير الاتصالات الإسرائيلى أنه طبقا لمعهد السايسمولوجى فإن إسرائيل تتوقع وقوع زلزال شديد خلال السنوات القادمة سيؤدى إلى خسائر جسيمة فى الأرواح وتدمير آلاف البنايات .. وكنت قد قلت فى مقال سابق أن إسرائيل تفضل أن ينهار الحرم القدسى نتيجة زلزال وليس بفعل فاعل ، ولن تتخلى إسرائيل إذن طواعية عن القدس لأنها تنتظر حدثا تتوقع أن يعدل الأوضاع لمصلحتها .. أما عن قضايا الوضع النهائى فيرى "جون ميرشمر" أستاذ العلوم السياسية فى جامعة شيكاغو أن خطة التقسيم التى ورثها كلينتون لبوش يستحيل أن تحقق السلام لأن الاستقلال الفلسطينى والأمن الإسرائيلى يتضادان جذريا .

إن إسرائيل لن تقبل طواعية بقيام دولة فلسطينية مستقلة ذاتيا ومتواصلة جغرافيا فيما بينها ، ومع جيرانها العرب عبر الحدود وذلك لسببين .. أولا : لأنها لا تثق فى نيات الفلسطينين خاصة بعد أن تقوي شوكتهم فى ظل عجزها عن السيطرة على ما يدخل إليهم عبر الحدود .. علما بأن سلاحها النووى لا قيمة له فى أى مواجهة مع الفلسطينيين .. ثانيا : لأن قيام مجتمع فلسطينى مزدهر مستقل يعنى استحالة رحيله من هذه الأرض التى يؤمن الصهاينة بأنها ملك لهم .

لقد قيل إن كل ما علينا أن نفعله هو أن نتودد ونتنازل لإسرائيل حتى يزول الحاجز النفسى ، وتثق فى نياتنا تجاهها غير أن فطرة إسرائيل الملتوية ، وتاريخها الدموى وكراهية جميع الأمم لها كل ذلك يجعلها عاجزة عن أن تثق بأى طرف .. وهى أول من يدرك أن سجل جرائمها وخطاياها فى حق العرب وصل إلى حد لا يمكن نسيانه أو التسامح معه ، وإنها إذا كانت بعد نصف قرن مازالت تسعى لتصفية حساباتها مع النازى ، فالمنطقى أن يكون هذا هو موقف العرب منها ، وأن ما يرددونه بالتالى عن السلام والتسامح هو مجرد خدعة .

يقول أحد مستشارى شارون : إن الوضع الحالى يدل على أن الجانبين لم يصلا بعد إلى النضوج الكافى لتسوية نهائية ، والصحيح أن إسرائيل هى التى لن تنضج بعد ، وأنها لكى تنضج وتستوى فهى فى حاجة إلى زخم عربى وراء الانتفاضة يزيد نارها حرارة ، وذلك حتى يفهم الإسرائيليون الذين يصوتون لشارون لكى يطفئ وهج الانتفاضة بالقوة ويلقن الفلسطينيين درسا إنه لا فرق بين شارون وباراك ورابين فى العجز أمام المقاومة ، وأنهم آجلا أو عاجلا لن يكون أمامهم لكى يسلموا سوى خيار الرضوخ لهذه المقاومة .

خواطر مسلم

راهب دير المحرق

الراهب المشلوح عادل سعد الله غبريال، اسم دخل التاريخ المصرى المعاصر من باب الفضيحة، ومن باب كشف المستور والمعيوب فى الواقع المصرى المعاصر، قامت الدنيا ولم تقعد منذ نشر ممارسات هذا الراهب المنحرف، ويكاد لا يكون هناك مصرى من ذوى الرأى والشأن لم يهتم بهذه القضية، وكل يغنى على ليلاه.

القصة أخذت أبعادا أكبر من حجمها، ذلك أنها ضغطت على جرح موجود بالفعل وصبت عليه الملح، وهكذا فإن مواجهة الحقائق أفضل من القفز فوقها والقول بأن كل شئ على ما يرام، وكفى الله الباحثين والكاتبين شر البحث والتفكير وتقديم الحلول الصحيحة قول مغلوط.

القصة تتلخص فى أن أحد الرهبان هو عادل سعد الله غبريال، وأخاه جرجس سعد الله غبريال قاما بعدد من الممارسات المحرمة والمجرمة، واستغلا موقعهما فى ابتزاز سيدات بعد تصويرهن بالفيديو، وإلى هنا والقصة عادية جدا، لأن انحراف راهب لا يسئ إلى الكنيسة أولا، ولا للمسلمين ثانيا والانحراف موجود فى كل زمان ومكان، خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن وجود انحرافات فى الكنائس ولدى الرهبان ليس ظاهرة جديدة، لا فى مصر ولا فى العالم، بل إن الحديث عن ممارسات الكهنة فى مجال

بقلم: د. محمد مورو

الابتزاز والانحراف فى العالم أمر مسجل فى الكتب والأفلام والصحف على نطاق واسع ، ولم يقل أحد أن ذلك يعنى إلغاء المسيحية أو الكنائس أو أن هناك مؤامرة عليهما ، بل نكاد نقول إن أحد أسباب ظهور المذهب البروتستانتى كان الانحراف والجمود والفساد فى الكنيسة .

ونقول أيضا إن الانحراف الجنسى ليس وحده الموجود فى الكنيسة بل هناك انحرافات مالية وسياسية - وهذا طبيعى فى أى مؤسسة - ونذكر هنا مثلا حالة ، فالراهب المصرى البروتستانتى نجيب اخنوخ نصب على الناس وباع لهم الوهم بدعوى إقامة قرية سياحية فى منطقة رمانة بسيناء وحصل على ٩ ملايين جنيه ولم يتحرك أحد ، وكذلك فإن الكنيسة الأرثوذكسية كانت قد شلحت ، أى فصلت الراهب عادل غبريال منذ خمس سنوات ، ولكنها لم تعلن هذا الفصل فى الصحف المنتشرة على غرار ما تفعل تجاه الآخرين من المشلوحين ممن يختلفون مع البابا فى الرأى أو لهم مواقف سياسية واجتماعية وعقائدية مخالفة لقيادة الكنيسة .. وهذا خطأ وقعت فيه الكنيسة يقع فى دائرة الإهمال ، ولو حدث نشر الموضوع فى الصحف المنتشرة لكان المجتمع قد تمت حمايته من أمثال هذا الراهب.

أضف إلى هذا أن السيدات اللاتى تم ابتزازهن قد لجأن إلى أكثر من طرف كنسى ولم يتحرك أحد .. وهذا إهمال آخر ، المهم أن الموضوع فى النهاية وصل إلى نيابة أمن الدولة ، وتم التحقيق ومصادرة الشرائط ، ثم تسرب شريط بطريقة أو بأخرى إلى جريدة النبأ فنشرته على نطاق واسع بالكلام والصورة مما أثار المسيحيين الأرثوذكس .. فتجمعوا داخل وأمام الكنيسة الأرثوذكسية الرئيسية بالعباسية واعتصموا وتظاهروا وأطلقوا شعارات بعضها غير مقبول ، وتم الحديث عن مطالب المسيحيين فى مصر ، وعن مؤامرة على المسيحيين .. وهو الأمر الذى تلقفته

جهات مريبة ومعروفة فنفخت فيه في الداخل والخارج .

وكان رأى الذين ثاروا وغضبوا أن هناك مؤامرة وراء النشر ، وأن أجهزة الدولة هي ذاتها التي سربت الشريط إلى صحيفة النبأ والصحفي ممدوح مهران صاحب الجريدة ورئيس تحريرها ، وأن الموضوع يستهدف الضغط على المسيحيين لوقف مطالبهم أو يأتي في إطار اضطهاد الدولة لهم ، خاصة أن الصحيفة نشرت أن الممارسات المنحرفة تمت داخل الدير المحرق ، وهو الدير الذي يتمتع بقدسية خاصة لدى المسيحيين المصريين ، حيث تقول الروايات المصرية إن العائلة المقدسة جاءت إلى مصر عام ٤م ، وبقيت بهذا المكان تحديدا حوالي ١٨٥ يوما ، وتحول فيما بعد إلى دير بسيط ثم تم تطويره فيما بعد إلى أن أصبح بحالته الحالية ووصل الأمر إلى حد إقامة احتفال سنوى في هذا المكان يتوافد إليه المسيحيون والمسلمون من مختلف أنحاء مصر .

وكان البعض الآخر يرى أن الأجهزة المصرية هي التي سربت ذلك الخبر والشريط لتحقيق عدد من الأهداف منها : إلهاء الناس عما يحدث في الأرض المحتلة ، ومنها ما يتصل بصراع الدولة والكنيسة ، ومنها ما يتصل بالرغبة في الإساءة إلى الكهان بعد ما حدث من مواجهة معهم بعد حادث الكشح ، ولكن كل هذه الأسباب بالطبع غير معقولة فالأجهزة المصرية لا تعمل في دولة صغيرة وغير عريقة بل هي جزء من مؤسسات مصر العريقة التي لا يمكن لها أن تلعب بالنار ، والصحيح أن القوى المتربصة بمصر - إسرائيل - أمريكا - جماعات أقباط المهجر - اللوبي الانعزالي هي من يمكن أن تفعل ذلك .

المهم أن المسألة أخذت أكثر من حجمها ، فالصحيفة المذكورة أخطأت حين نشرت ما يمس الذوق وتطاولت على الكنيسة ، ولكن ليس هناك جريمة في التطاول على راهب منحرف شلحته الكنيسة أولم تشلحه ، وكذلك يجب أن ندرك أن الرهبان ليسوا فوق النقد ، وأنه بالنسبة للعدالة وعدم ازدواج المعايير ، فلا فرق بين راهب وصحفي ، ولا بين غبريال والسويركي - الأخير تعرض لحملة تجريح في الصحف الصفراء والحمراء والبيضاء ، الحكومية والمستقلة والمعارضة دون أن يقول أحد إن ذلك مساس بعقائد المسلمين أو سمعتهم ، ودون أن يتحرك أحد لمحاكمة تلك الصحف أو الصحفيين .. وهكذا

فإن فتح الملف بهذه الطريقة يعنى إما أن الدولة خضعت لابتزاز المتظاهرين أو أن هناك ازدواج معايير يضرب مصر فى صميمها وهو أمر خطير .

إن ما حدث يعنى أن هناك خللا كبيرا داخل البنية المصرية ، فلماذا يهتز المجتمع بهذه الطريقة على أثر نشر حادثة فى صحيفة صفراء لا تحظى بالاحترام أصلا ، وهل يعنى ذلك أن مشاكل المجتمع المصرى من فقر وبطالة وإحساس بالفساد تعبر عن نفسها فى المسألة الطائفية على أساس أنها أضعف الحلقات فى البنيان المصرى - على طريقة المنصهر فى الكهرباء Fuse . ولكن حتى لو كان هذا صحيحا فلا يعقل أن يصل الأمر إلى حد الهتاف من طائفة معينة أو بعضها للأعداء كما حدث فى العباسية .

إن ذهاب الغاضبين المسيحيين إلى مقر البطريركية يعنى أننا أمام حالة خلل حقيقى ، فلجوء المسيحى إلى الكنيسة التى من المفروض أن يقتصر دورها على المسائل الدينية فقط يعنى أن مصر منقسمة إلى حزبين فقط : حزب المسيحيين تقوده الكنيسة وحزب المسلمين يقوده رئيس الدولة ، وهذا غير صحيح ويجب التصدى له بحزم ، وإلا فالنتائج وخيمة .

إن من الحقائق التى ينبغى مواجهتها أن طريقة التفكير والممارسات الطائفية التى تصل إلى حد طلب الحماية الأجنبية - وهى خيانة عظمى - لم يعد قاصرا على عدد من جماعات المهجر ، بل أصبح له امتداده داخل الجسم المسيحى المصرى ، وهو أمر يجب التصدى له بسرعة وكفاءة وحسم ، ليس بالطريق الأمنى وحده ، ولكن بالطريق السياسى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى.

القدس الوجدان والتاريخ والجغرافيا

القدس ليست كغيرها من المدن العربية أو حتى الفلسطينية والحديث عنها يستدعى قدرا هائلا من المعانى المتصلة بالتاريخ والجغرافيا والعقائد ، والقدس بالنسبة لنا هى الرمز والتجسيد للصراع مع الصهيونية ، ولا يعنى هذا أن حديثنا عن القدس مثلا واهتمامنا بها يعنى أننا نفرط فى ذرة تراب واحدة من أرض فلسطين ، أو أن حديثنا عن القدس يعنى المسجد الأقصى فقط ، ولكن المسجد الأقصى والقدس هما رمز وتجسيد للصراع كله ، وفلسطين والقضية الفلسطينية هما رمز وتجسيد للصراع المستمر فى التاريخ والجغرافيا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية .

وتحتل القدس مكانة مهمة فى الوجدان العربى والإسلامى ، فالمسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين والرحال لا تُشد إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام ومسجد الرسول ص بالمدينة والمسجد الأقصى ببيت المقدس .

والقدس أرض مباركة هى وما حولها أى كل فلسطين والبلاد المجاورة لها لقوله تعالى:

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ .... (الإسراء : ١)

وهكذا فإن مصير القدس وما حولها أى كل فلسطين أمر يخص كل العرب والمسلمين فى كل زمان ومكان .. وبالتالى فليس من حق سلطة ما أو جيل ما أو شخص ما أن يبت فى مصير القدس أو يساوم على شئ منها ، فيفرط فى حقوق لا يملكها وحده ، ولا يملكها جيله كله بل تخص كل الأجيال القادمة ، وفلسطين كلها وقف إسلامى مملوك لكل المسلمين من ولد ومن لم يولد بعد إلى يوم القيامة .

كانت القدس وفلسطين كلها محورا للصراع الممتد فى الزمان والمكان ، فى التاريخ والجغرافيا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، وحول القدس دارت معارك وستدور معارك للسيطرة عليها باعتبارها رمزا لهذا الصراع وتجسيدا له .

ومن الناحية التاريخية فإن القدس التى يقدر المؤرخون عمرها بخمسة آلاف عام .. قد أسسها اليبوسيون الذين نزحوا من الجزيرة العربية فى الألف الثالث قبل الميلاد ، أى أن العرب هم الذين أسسوا القدس ، ثم تتابع على حكمها والعيش فيها العرب والعبرانيون والكنعانيون والرومانيون ثم العرب المسلمون ، والصليبيون ، فالعرب المسلمون وهكذا ..

وفى الحقيقة فإن الزعم اليهودى بحقوق فى القدس أمر لا تسنده وقائع التاريخ ولا النص الدينى أيضا ، ذلك أن الحكم اليهودى للمدينة استمر فقط على مدى خمسة آلاف عام حوالى ٧٠ عاما فقط فى زمن نبى الله داود ونبى الله سليمان عليهما السلام ،

وبالطبع فإن يهود إسرائيل الآن ليسوا ورثة داود وسليمان ، لأن المسلمين أولى بداود وسليمان من اليهود على أساس أن الإسلام هو الدين الخاتم وأنه لو بُعث كل من داود وسليمان فلن يملكا إلا الدخول فى الإسلام ، ولأن اليهود فقدوا الحق فى وراثة العهود

الإلهية أو وراثة تراث أنبيائهم لأنهم انحرفوا عن الطريق وخانوا العهد فاستحقوا لعنة الله تعالى وغضبه عليهم ، فإبراهيم عليه السلام "أبو الأنبياء وأبو العرب واليهود" عندما تلقى كلمات من ربه أتمهن ، فقال الله له : إنى جاعلك للناس إماما ، فقال إبراهيم : ومن ذريتى ؟ فرد الله تعالى عليه بقوله : لا ينال عهدى الظالمين .. فالعهد مرتبط بالإصلاح وينتهى بالظلم والإفساد ، وبالتالى فيهود اليوم ليسوا ورثة إبراهيم ولا داود وسليمان ولا موسى ولا سائر الأنبياء .. بالإضافة إلى ذلك فإن يهود اليوم فى إسرائيل ليسوا هم بنى إسرائيل الحقيقيين بل هم من يهود الخزر الآسيويين ومتهودون أوروبيون كما أثبت ذلك أكثر من باحث موثوق به ومرموق .

وبصرف النظر عن كل هذا ، فما قيمة ٧٠ عاما أمام آلاف الأعوام التى ظلت فيها القدس عربية سواء قبل ظهور الإسلام أو بعده أو على مستوى تأسيس المدينة ذاتها ، أو إعادة بنائها بعد كل تخريب يحدث لها .

وقد فُتحت المدينة للمسلمين فى عهد عمر بن الخطاب الذى حررها من الاحتلال الرومى ، وقد ذهب عمر بن الخطاب بنفسه لاستلام مفاتيح المدينة ، وهذه حالة خاصة بالقدس تعبر عن أهميتها ، لأن عمر لم يذهب لاستلام أى مدينة مفتوحة غير القدس ..

وكانت القدس فى ذلك الوقت خربة فقام المسلمون بتعميرها ، وقد شهدت القدس اهتماما خاصا من الحكومات الإسلامية المتعاقبة ، فكانت بيعة الخليفة الأموى تتم فى القدس ، واهتم الأمويون بتعمير المدينة وتشجيع حركة العلم بها وكذلك فعل العباسيون الذين تركوا آثاراً كثيرة فى القدس يحاول اليهود طمسها الآن لتغيير هوية المدينة كما كان للفاطميين والسلاجقة والأيوبيين آثار مهمة فى المدينة ، وعندما سقطت القدس فى يد الصليبيين لمدة مائة عام ، ثم أعاد صلاح الدين الأيوبى فتحها بذل جهودا كبيرة لإعادة الطابع العربى الإسلامى للمدينة بعد أن حاول الصليبيون طمس هذا الطابع .

ثم جاءت الخلافة العثمانية فحكمت القدس ٤٠٠ سنة إلى أن سقطت فلسطين تحت الانتداب البريطانى فى ١٩١٨ وبدأت المؤامرة لتسليم فلسطين إلى الصهاينة .

الصراع على القدس وفلسطين كلها ، صراع تدخل فيه العوامل السياسية مع العوامل الدينية والتاريخية ، وإذا كانت إسرائيل بالنسبة للغرب جزءا من مشروع الهيمنة الغربى على المنطقة فإنها أيضا بالنسبة لتفسير مسيحى معين "بروتستانتى"

نوع من التمهيد لظهور المسيح المزعوم فى نظرهم الذى سيقضى على امبراطورية الشر "المسلمين" فى معركة هرمجدون ، وهى بالنسبة لليهود تنفيذا للأسطورة المزعومة عن وعد إلهى لأجدادهم ، وهى بالنسبة للمسلمين أرض الإسراء وأولى القبلتين وثالث الحرمين وحق طبيعى لأن العرب هم مؤسسوا المدينة ..

وظلت المدينة جزءا منهم وهم جزء منها لآلاف السنين ، بل وينظر المسلمون للصراع على أنه صراع حضارى ممتد فى التاريخ والجغرافيا ، وأنه على أرض فلسطين سيحسم الصراع فإما إبادة الحضارة الإسلامية ، وإما فتح جديد لعهد العالمية الإسلامية الثانية ، والقضاء على الاستكبار العالمى وإنهاء الظلم والنهب والقهر الذى مارسته وتمارسه الحضارة الغربية - أمريكا آخر صورها - على العالم .

ومن ناحية النص الدينى الإسلامى فإن المسلمين متأكدون أن النصر آت لا ريب فيه وفقا لآيات القرآن الكريم :

﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا ﴾ .. (الإسراء :   )

هذا النص الدينى الذى شكل الوجدان والرؤية الإسلامية يحتم على المسلمين والعرب بالتالى التمسك بتحرير كامل التراب الفلسطينى "القدس وما حولها" .. وإنهاء الغلو والإفساد الإسرائيلى ، وأن هذه مسئولية المسلمين جميعا بجميع طوائفهم ومذاهبهم وأجيالهم ، وبالتالى فإن السعى الدبلوماسى نحو ما يسمى بعملية السلام هى مسعى غير شرعى ، واقتصار المطالب العربية الحكومية أو مطالبة السلطات الفلسطينية بمجرد التمسك بالقدس الشرقية دون القدس الغربية أو الحرم القدسى دون القدس وفلسطين كلها هو أمر غير شرعى أولا ، ولا يحق لهم ثانيا لأن هذا حق كل العرب والمسلمين ، بل وأجيالهم التى لم تولد بعد أيضا .

وإذا تتبعنا مسيرة التركيبة السكانية للقدس قبل بداية الاستعمار الأوروبى نجد أن المدينة عربية قلبا وقالبا ، وأن ما حدث فيها

هو نوع من الاستيطان والهجرة المنظمة الإسرائيلية وطرد العرب منها ..

كان العرب إبان الحكم العثماني وإلى القرن التاسع عشر ٤٠ ألفا في مقابل ٣٠٠ يهودي فقط لا غير ثم قفز عدد اليهود في المدينة إلى ٢٠ ألف يهودي عام ١٨٩٠ مع بداية المخطط الصهيوني في مقابل ٤٥ ألف عربي ، وفي عام ١٩٤٧ وصل عدد اليهود بالمدينة إلى ١٠٠ ألف مقابل ٦٥ ألف عربي ثم أصبح العدد الآن ٢٠٠ ألف يهودي مقابل ١٥٠ ألف عربي وتسعى إسرائيل إلى زيادة عدد اليهود في القدس عام ٢٠١٠ إلى ٧٥٠ ألف يهودي في إطار مخطط القدس اليهودية الكبرى ، وفي الإطار السياسي استطاعت إسرائيل أن تسيطر على القدس الغربية عام ١٩٤٨ وفي أعقاب ذلك وبتاريخ ١٩٥٠/١/٢٣ صدر قرار إسرائيلي باعتبار هذا الجزء عاصمة لإسرائيل ، وتم نقل الكنيست إليها ، وفي عام ١٩٦٧ تم احتلال باقي المدينة ، أما القدس الشرقية فتضم المقدسات الإسلامية والمسيحية .. وأصدرت إسرائيل قرارا بتوحيد القدس في ١٩٦٧/٦/٢٨ ثم صدر قرار باعتبار القدس هي العاصمة الموحدة لإسرائيل وتم الضغط على الحكومات في مختلف بلاد العالم لنقل سفاراتها إلى القدس ، وقد تزامن ذلك مع حركة استيطان صهيوني داخل فلسطين المحتلة والقدس بالذات ، وقد حظيت القدس باهتمام استيطاني صهيوني كبير بحيث يصبح من المستحيل عودتها إلى العرب ، وقد تمثلت حركة الاستيطان في بناء مستوطنات إسرائيلية في القدس وما حولها ، بحيث تغرق الوجود العربي فيها في بحر من اليهود ، وتقطع كل صلة للقدس بما حولها من المناطق العربية ، وكذلك قامت إسرائيل بالضغط على عرب القدس للخروج منها ، ومنعتهم من البناء وصادرت أراضيهم وتقوم إسرائيل دائما بطمس معالم المدينة الإسلامية عن طريق هدم الآثار الإسلامية ، والتخطيط للكشف عن مزاعم وجود هيكل سليمان المزعوم تحت المسجد الأقصى ، وتفعل إسرائيل نفس الشئ مع الآثار المسيحية في المدينة ، وتقوم بتغيير بعض المعالم الأثرية للمدينة ثم ادعاء أنها آثار يهودية وتسعى إسرائيل في النهاية إلى إقامة ما يسمى بمشروع القدس الكبرى لتوسيع حدود مدينة القدس بحيث تمتد إلى رام الله شمالا وإلى بيت لحم جنوبا بحيث يكون عدد اليهود في هذا المشروع حوالي ٧٥٠ ألف نسمة في القدس الكبرى .

د . محمد مورو

الآداب العامة

فى الثامن عشر من شهر يونيو أبرزت جريدة الأهرام فى صدر صفحتها الأولى خبراً يقول إن المحامى العام لنيابات أمن الدولة قد أصدر قراراً بمصادرة عدد إحدى الصحف الخاصة لاحتوائه على صور مخالفة أو مخلة بالآداب وأضافت الجريدة أن أجهزة الأمن صادرت ذلك العدد فى فجر يوم صدوره وأن محكمة جنوب القاهرة قد أيدت قرار المصادرة .. ومضت الجريدة تقول إن الصور المذكورة المخالفة للآداب والتى سوف يجرى التحقيق مع رئيس تحرير الجريدة بشأنها تتعلق بسلوكيات أحد الرهبان فى دير المحرق بأسيوط وبتصوير بعض السيدات بالفيديو لابتزازهن .. ولم تضف الصحيفة أية تفاصيل حول هذه السلوكيات المصورة وإن كانت ذكرت أن مجلس نقابة الصحفيين قد انعقد فى جلسة طارئة يوم نشر الخبر للبحث فى الأمور المنسوبة للصحيفة ومحاسبة المسئولين عما نشر بها مما يعنى أن المجلس لم ينعقد فيما يتصور لرفض مصادرة الصحيفة بل لتأبيد ذلك والمشاركة مع

د. محمد يحيى

الأجهزة القضائية فى محاسبة المسئولين عنها ولهذا الخبر ولإبرازه على صدر الصفحة الأولى دلالات عديدة لا نبالغ إن قلنا إنها تستعصى على العد .

أول ما يلفت النظر هو أن الصحيفة المذكورة فى خبر جريدة الأهرام ومعها صحف أخرى ظهرت على الساحة منذ سنوات عديدة بدون ترخيص رسمى أو بترخيص قبرصى أو بالتحايل على القانون السارى والالتفاف حوله وكان دأب هذه الصحف نشر أخبار الفضائح المزعومة فى المجتمع ولا سيما فى أوساط الفنانين وبعض الموظفين وهى فضائح كانت تُنشر مقرونة بتفاصيل مسهبة ومقززة ومدعمة بالصور ..

ورغم موجة الاحتجاجات العارمة من أشخاص وكتاب حكوميين يكتبون فى الصحف الحكومية ، فلم يتحرك أحد ولا صودرت تلك الصحف فى فجر يوم صدورها .. وكان من الواضح فى وقتها أن هذه المطبوعات تلقى الدعم أو على الأقل المساندة الضمنية من بعض الدوائر التى ترى فيها أداة طبيعية فى عملية ضرب التدين الإسلامى المعروفة بعملية تجفيف المنابع ..

وكانت هذه الصحف ومازالت تحظى بعين الرضا رغم إسفافها ومغالاتها فى نشر ما نسميه بالفضائح ، ذلك لأنها كانت تلفت الأنظار بعيدا عن الساحة السياسية ومجرياتها وتلهب غرائز الناس وتلهيهم عن التدين أو الانشغال بالأمور العامة .

استمر هذا المنهاج إلى وقت عملية المصادرة الأخيرة لعدد الصحيفة المذكورة ، وهذه المصادرة نفسها تمت بشكل يثير التأمل من ناحية السرعة ومستوى الإجراءات المتخذة من جانب موظف رفيع المستوى ومحكمة موقرة ومجلس نقابة الصحفيين ، فالإجراءات لم تأت مثلا من جانب شرطة الآداب وإنما من جانب المحامى العام لنيابات أمن الدولة العليا وهى الجهة القضائية التى تعنى بالأمور الخطيرة الجسيمة التى تهدد أمن البلاد .

وإذا كان هذا التحرك يتم فى إطار الرد المتأخر جداً على الإسفاف والفحش والفجور

فهو تحرك محمود .. لكن جريدة الأهرام التى يقال عنها إنها جريدة رسمية صاغت الخبر فى صيغته تعمل مع الأسف على هدم أمن الدولة الذى يحميه القضاء والنيابة .. ذلك لأن الجريدة ذكرت وبغموض وبدون تفاصيل أن الصور المخلة المذكورة متعلقة بسلوك أحد الرهبان فى دير المحرق بأسيوط ..

وأدى هذا التصوير إلى التساؤل حول دافع التحرك فى هذه الحالة بالذات مع عدم التحرك فى حالات سابقة كانت تلك المجموعة من الصحف تنال فيها من شرف وسمعة مسئولين وعلماء دين مسلمين وسيدات مجتمع .. إلخ ..

كذلك فإن الحديث المبهم عن سلوكيات منسوبة لراهب الدير ترك الباب مفتوحا أمام تأويلات وتخمينات عديدة حول نوعية هذه السلوكيات وهل تنطوى مثلا على الشذوذ الجنسى والفجور الخلقى ومع من يمارس ، وفتح الباب حول ما إذا كان التحرك ضد الإباحية والاخلال بالآداب قد جاء متأخرا أم أنه جاء ليحتوى حالة معنية تمس الأوضاع الطائفية الحساسة ورغبة فى تجنب هذه الآثار قبل حماية الآداب لا سيما وأن الكثير جداً من الصور الفاضحة قد نشرت فى أمثال تلك الجريدة وفيها نفسها دون أن يتعرض لها أحد ربما لأنه لم يكن فيها رهبان .

كذلك أثارت صياغة خبر الأهرام التساؤل حول ما إذا كانت هذه السلوكيات صحيحة أم لا وحول ضرورة توقيع المساءلة والعقاب القانونى اللازم فى حالة ما إذا كانت صحيحة .. وثار التساؤل كذلك حول ذلك التحرك السريع من جانب مجلس نقابة الصحفيين ، وعما إذا كان سببه الانتخابات التى جرت بعد النشر بأسبوعين رغبة من المجلس فى إظهار أنه يقوم بمسئولياته تجاه الصحف المنحرفة والفاضحة ، وأيا كان الحال فمن المفروض أن تنتهى مهزلة الصحف الفاضحة التى نشأت بشكل غير قانونى والتى كان كل همها إفساد الأخلاق .

المضحكات

على الرغم من تفاهة قضية صحيفة النبأ الظاهرة إلا أن ردود الأفعال الرسمية والأخرى عليها تستحق أن تُكتب فيها مجلدات لأنها تكشف الكثير مما يدور الآن من ظواهر خطيرة فى مصر .. ولا نستطيع هنا سوى تسجيل ملاحظات متتابعة ومتتالية حول هذه الجوانب .

لقد تحول الموضوع بقدرة قادر وبفعل فاعل إلى ما يسمى بفتنة طائفية ومسألة وحدة وطنية رغم أن الصحيفة والصحفى الذى نشر فضائح الراهب المسمى بالمخلوع أو المشلوح ليس له علاقة بالإسلام أو التيار الإسلامى الذى يقول عنه العلمانيون أصحاب النفوذ إنه هو سبب كل ما يهدد الوحدة الوطنية ..

وتحولت القضية إلى مسألة تمس الوحدة الوطنية لأن البعض أراد منها تحقيق مكاسب سياسية معينة فى تلك المرحلة حتى ولو تم ذلك على حساب تهديد أمن البلاد وإشغال الناس بمسائل لا علاقة لها باهتماماتهم الحقيقية فى الداخل والخارج ، بل ربما قيل إن سبب تحويل هذه القضية إلى مسألة وحدة وطنية كان هو إشغال الناس بتفاهات معينة وتحويل أنظارهم عن قضايا عديدة محرجة كانت تجرى فى تلك الفترة ..

وكان هذا التحويل للأنظار جزءا من صفقة تمت بين طرفين استفاد منها الطرف الأول مكاسب سياسية واستفاد الطرف الثانى تحويل الأنظار .

هذا هو التفسير الوحيد لذلك التحويل المتعسف وبقوة السلاح لحادثة عادية إلى قضية وحدة وطنية رغم أنها ليست كذلك وهى بكل المقاييس قضية داخلية تتعلق بالكنيسة الأرثوذكسية وأحد رهبانها المشلوحين بل إن تحويل الحادثة إلى قضية وحدة وطنية وهى ليست كذلك أثار الشكوك حول دوافع الكنيسة بالذات التى بدا أنها تحاول التغطية على موقف محرج بادعاء أن العقيدة المسيحية قد تعرضت للمساس وهو ما لم يحدث لأن هناك فارقا بالطبع بين الحديث عن رهبان والحديث عن العقيدة المسيحية .. يستطيع البعض بالطبع خدمة أغراضهم كما شاءوا ولكن من الخطير جدا أن تتدخل أطراف عديدة لكى تلوى عنق حادثة معينة وتحولها بالعنف والقوة من واقعة

عادية وإن كانت فاضحة وخطيرة إلى قضية وحدة وطنية لكى تحقق هذه الأطراف من وراء ذلك مكاسب سياسية محسوبة لها ولغيرها.

وهناك الاتهامات الموجهة للصحفى رئيس تحرير الجريدة المتهمة .. وقد جرى شطب الصحفى والجريدة من سجل الوجود ، وسبحان مغير الأحوال من تكريم وأهمية إلى العدم .. لقد وجهت للصحفى المذكور من جانب النيابة أربعة اتهامات تتعلق كلها بأمر واحد وهو الحض على ازدراء رجال الدين المسيحى ثم ارتكاب ذلك الازدراء ، وبصرف النظر عن النظر القانونى فى هذه الاتهامات التى نشرتها الصحف إلا أن ما يلفت النظر أنه لم يسمع أحد من قبل عن تهمة اسمها ازدراء رجال الدين التابعين لملة أو عقيدة أو ديانة ما .

لقد سمعنا فى قوانين البلاد الاستثنائية والعادية عن عقوبات لازدراء الأديان نفسها ولكن هذه أول مرة نسمع فيها عن تهمة ازدراء رجال الأديان رغم وجود فارق واضح بين الدين نفسه وبين رجاله وممثليه .

ويزداد العجب عندما نجد المشايخ أوعلماء الدين الإسلامى أو رجاله تعرضوا فى السنوات الأخيرة بالذات لهجمات شديدة وتحريض وسب وقذف وليس فقط على الصفحات الصفراء .. ولكن كذلك على صفحات الإعلام الحكومى الرسمى وفى جميع هذه الحالات لم يتحرك أحد لتوجيه تهمة ازدراء رجال الدين الإسلامى أو مجرد الحض على ازدرائهم رغم أن هذا التحريض والحض والازدراء كان يدور ويجرى على رؤوس الأشهاد وحتى فى نفس الفترة التى وجهت فيها تهم (أربعة مرة واحدة) تحريض وازدراء رجال الدين المسيحى إلى الصحفى مهران .

وما أكثر ما تعرض علماء وأئمة أجلاء إلى السباب والتحريض (ولاحظ التحريض هذا) والحض على الكراهية والتحقير دون أن يتحرك أحد لملاحقة مهاجميهم بتهمة ازدراء رجال الدين الإسلامى .

إذن نحن أمام تهمة جديدة لم يسمع عنها أحد من قبل ولم تُطرح إلا فى حالة الفتى مهران .. فهل يا ترى حدث تعديل جديد فى قانون العقوبات أم أنه حدث لبس بين تهمة الحض على ازدراء الأديان والتهمة الجديدة أم أن هذه الحالة بالذات حدث فيها تحرك لا علاقة له بأوضاع القانون ؟.. وهل يا ترى سيتمتع رجال الأديان الأخرى من مسلمين ويهود وبوذيين بنفس الحماية والحصانة التى

أسبغت الآن على الراهب المشلوح والرهبان غير المشلوحين ؟.. وهل تجوز محاكمة الصحفي المشلوح هو الآخر بتهمة جديدة ربما لم تكن في حسبانه عندما كتب التحقيق ؟ هذه كلها أسئلة يجيب عنها رجال القانون .

وهناك في القضية أمر غريب : إن الجميع هاج وماج وثار وغضب وتحرك لأن صحيفة صفراء معروفة بالفضائح نشرت قصة فاضحة حول سلوكيات أحد الرهبان السابقين ولكن أحدا لم يسأل نفسه هل هذه الفضائح حقيقية أم لا ؟.. بل إن المدهش هو أن الجميع يعترف وفي وسط هوجة الهجوم على صحيفة الفضائح أن هذه الفضائح حقيقية بل إنها موضع تحقيق تجريه النيابة !!.. وهذا هو الغريب بل المذهل في الموضوع .. إن الجميع انشغل بهوجة الحديث عن الوحدة الوطنية وجرائم الصحفي مهران لكن أحدا لم ينبه إلى جرائم الراهب وهي السبب الأول والأصلي في تشويه صورة الرهبنة والرهبان ولولاهما لما حدث نشر للفضائح ولا حدثت ضجة ولا حدث تهديد للأمن القومي .

• إن الجميع يصرخ ضد الذين نشروا الفضائح ولكن لا أحد يصرخ ضد من عمل الفضيحة أصلا .. إن إحدى الاتهامات التي وجهتها النيابة إلى الصحفي المتهم هي أنه نشر كلاما تجري فيه النيابة نفسها التحقيق (دون أن يقول أحد عما إذا كان قد صدر من النيابة نفسها قرار بحظر النشر في هذه القضية مما يعني أن مهران سوف يطلع براءة من هذه التهمة في حالة عدم صدور مثل هذا القرار!) طيب لماذا لم تحاكموا الراهب أصلا عند ارتكابه لهذه الجرائم لكي ترتاح النفوس ولا يعود هناك مجال لصحف الفضائح ولا لبلبلة الرأي العام ولا للتشكيك في دير المحرق وغيره من الأديرة والرهبان ؟

إن الكنيسة تقول : إن الراهب المشلوح جرى فصله منذ خمس سنوات ولابد أن هذا الفصل حدث لارتكاب ممارسات شبيهة بتلك التي أثارت الضجة والفضيحة لاحقا .. فلماذا لم تتقدم الكنيسة بعد ذلك ببلاغ إلى السلطات العامة بملاحقة هذا الراهب قانونيا على الأقل لتبرئة الذمة وتطهير سمعة الرهبنة والدير وتجنبا لما حدث بالضبط وهو استغلال هذه السلوكيات من جانب الصحف الصفراء في تشويه السمعة ؟.. بل لماذا لم تقم الكنيسة بمجرد ملاحظة سلوكيات المشلوح بعد شلحه وذلك للحيلولة دون استمراره في إتيان هذه السلوكيات الشاذة

والفاضحة ؟.. بل ولماذا تركوه وهو يرتدى زى الرهبنة ويتحرك فى أوساط الأقباط على أنه راهب أو كما بررها أحد الأساقفة فى جريدة الأهرام بقوله : إنه لا يوجد قانون يمنع أى شخص من ارتداء زى الرهبان وهو ما يمكن الرد عليه بأنه يوجد قانون يجرم الأفعال الفاضحة ويوجد قانون يجرم الإدعاء بالترهب أو ارتداء زى سلك لا ينتمى إليه الإنسان وهو ما كان ينطبق على الراهب المذكور .

إن هذا التراخى أو التستر غير المفهوم والذى يضاد مصلحة الكنيسة نفسها ربما حدث للرغبة فى عدم إثارة الفضائح والشبهات .. لكن التستر نفسه هو الذى سبب الفضائح كما حدث ، وربما كان هذا هو سبب تحويل القضية إلى مسألة تمس العقيدة وتحريك ما سُمى بالشباب القبطى الغاضب للتغطية على تراخى وإهمال فى السابق تسبب فى إحداث الفضيحة لاحقا .

إذن حقيقة الأمر هو أن قرار الكنيسة الأولى بالتستر على الراهب وعدم تقديمه إلى السلطات والقضاء بدافع عدم إثارة الخواطر أو تشويه سمعة الكنيسة هو الذى تسبب الآن فى تلك الفتنة الهوجاء التى ربما حولها البعض دون وازع ولا ضمير إلى قضية أمن قومى لا لشئ إلا للتغطية على ذلك الخطأ الأولى .

لقد حدث تجاهل بغرض تجنب الفضيحة فأدى ذلك إلى فضيحة أكبر .. جرى تداركها بفضيحة أو ضجة أوسع شملت الوطن بأسره وشغلت السلطات والعباد والنقابات والمحاكم ... إلخ

بل وأدى إلى حشد الأتباع فى الشوارع والاشتباك مع أجهزة الأمن وإشغال الحكم بما يجرى فى وقت يواجه فيه العديد من القضايا الملحة فى الداخل والخارج .

وهناك من التوابع المدهشة لحكاية الراهب المشلوح ما ظهر فى رسالة بعثت بها سيدة وصفت بأنها صحفية إلى بريد الأهرام فى ٢٦ يونيو تدعو فيها إلى ما يمكن تسميته باعتذار جماعى من المسلمين إلى الأقباط فى مصر حيث تقترح أن يقوم كل مسلم بالاتصال بعشرة أقباط ليعتذر لهم عما نشرته صحيفة النبأ حول الراهب إياه .

وهذا هو أغرب وأخطر ما تمخضت عنه الحكاية لأن عقلية الصهاينة لم تتفتق عن اقتراح مماثل حتى فى عز عملية إخضاع الشعب الألمانى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية على أساس المذابح المزعومة التى

ارتكبها النظام الألماني ضد اليهود ، فلماذا يراد خلق عقاب جماعي على المسلمين وبأية جريمة ؟.. ولماذا يراد خلق عقدة ذنب دونما وقوع ذنب أصلا ؟..

ولماذا ينشر على الملأ اقتراح بعملية عقاب جماعي من شأنه أن يعقد الأمور ويزيد احتمال حدوث الفتنة من خلال رد الفعل المعاكس لأن كل من يقرأ هذا الكلام الفارغ ويجد أن مصر قد قُسمت إلى مسلمين جناة وأقباط ضحايا ويجد نفسه مطالبا بالاعتذار عن ذنب لم يرتكبه سوف ينشأ داخله رد فعل لا يعتذر للأقباط ولكن يهاجمهم على أساس أن المسألة تحولت إلى عملية طائفية وعملية إذلال لا مبرر له .

والحقيقة أن اقتراح هذه السيدة الصحفية التى تحمل اسما إسلاميا لم يكن غريبا إلى هذا الحد لأنه قد سبقته بالفعل حملة من الاعتذارات الرسمية والشعبية استغربها

الكاتب فهمى هويدى فى مقاله بالأهرام فى نفس يوم وصفحة رسالة الصحفية حيث قال عما نعتذر ولمن نعتذر .. ذلك لأن العملية كلها وعلى أشد الأحوال لا تعدو أن تكون جريمة نشر عادية لمادة إباحية تتعلق بشخص واحد معنى ولا يمكن أبدا أن تتحول المسألة إلى قضية فتنة طائفية أو صراع إسلامى مسيحى أو حتى إهانة للمقدسات المسيحية كما زعم البعض ذلك لأن الراهب المشلوح ليس من المقدسات المسيحية فى حد علمنا .

ومن هنا فإن من الخطورة الحقيقية على الوحدة الوطنية أن يجرى لى الأحداث التافهة لمجرد أن أحد الأطراف فيها من الأقباط بحيث تتحول إلى قضايا مساس بالوحدة الوطنية على غير أساس والأخطر أن يُطلب من المسلمين تقديم اعتذارات وتكفيرات جماعية على جريمة لم ترتكب باسم الإسلام ولا باسم أى شئ ، ولكن الذى حدث كان العكس . . فقد ذهبت الوفود الرسمية إلى مقر الأنبا شنودة لتقديم الاعتذارات والاستنكارات والتعازى .. إلخ .

وذهب الأزهر وشيخه (على حسب تعبير جريدة الأخبار) ودار الافتاء إلى إصدار البيانات الاستنكارية التى كانت غريبة من

حيث أن أحدا لم يعرف منها بالضبط ما الذى يستنكره الأزهر وشيخه ودار الافتاء .. فهل يستنكرون نشر المواد الإباحية ؟..

إن المواد الإباحية تنشر ليل نهار وفى كل مكان دون أن يصدر بيان أو حتى كلمة احتجاج من الأزهر وشيخه ودار الافتاء كما لا يمكن القول بأن بيانات الاستنكار الأزهرية والإفتائية كانت تستنكر تهديد الوحدة الوطنية لأنه لم يحدث بالفعل ما يهدد هذه الوحدة .. ولعل أصحاب هذه البيانات كانوا يستنكرون التهجم المزعوم على أحد رجال الدين لكن هذا لم يحدث لأن الكنيسة القبطية أعلنت أن الشخص ليس من رجال الدين وبالتالى فلا محل للغيرة على حرمات الأديان رغم أن أصحاب هذه البيانات لم يعهد عنهم الغيرة على علماء المسلمين بالذات .

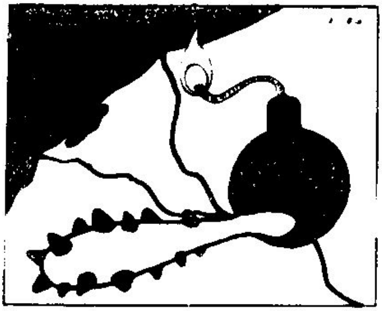

عايزين حقوقنا

المنظر الكبير الذى تمخض عن أحداث الراهب المشلوح هو ظهور عنصر جديد على الساحة السياسية وهو عنصر لن يخرج منها ولا بأجهزة الأمن ولا بالطبل البلدى .. ونعنى به العنصر المسمى بالشباب القبطى الثائر أو الغاضب .. هذا هو الاسم الذى دشنت به المحطات الفضائية العربية تجمع الآلاف (كما قيل) من الأقباط فى ساحة الكاتدرائية الكبرى بالعباسية ثم تبعتها فى ذلك وسائل الإعلام المحلية والأجهزة الرسمية وغيرها حتى يمكن القول بأنه أصبح لدينا الآن تنظيم جديد سياسى يحمل اسم الشباب القبطى ويحظى بمباركة وموافقة وتأييد ودعم ومساندة الجميع وفى مقدمتهم الأجهزة الرسمية التى لا تطيق سماع كلمة تنظيم أو حزب دينى ولا تعترف بوجود أمثال هذه الأشياء حتى وهى تقدم المنتمين إليها إلى المحاكمات الاستثنائية وتدينهم بهذه التهم .. وظهور هذا التنظيم من عالم الغيب إلى عالم الشهادة بقوة القانون تم فى ظروف غريبة

ومريبة .. فمن المفترض أنه لو حدث ما يسيئ إلى العقيدة المسيحية (وهو ما لم يحدث على أى حال فى حادثة الراهب المفضوح) فإن جميع الأقباط وليس الشباب وحدهم هم الذين يغضبون .. لكن الذى حدث حسب ما ذكرته كل وسائل الإعلام هو أن أعدادا من الشباب مفتولى العضلات وموفورى الصحة والذى يبدو أنهم تلقوا تدريبات فى فنون القتال المختلفة هم الذين تجمعوا للإعراب عن الاحتجاج حول الإساءة المزعومة ..

هذا فى حد ذاته غريب أن يقتصر الغضب على من أسموهم بالشباب القبطى الثائر أو الغاضب ولا يمتد لسائر الأقباط الذين لا يمكن اتهامهم بأنهم لا يغيرون على دينهم أو لا يؤمنون به .

والأغرب أن هذا الشباب القبطى الثائر لم يجتمع ليحتج على حادثة الراهب المشلوح بل سمعهم الجميع على شاشات التليفزيون الدولى وهم يصرخون "عايزين حقوقنا" وسمعهم الجميع وهم يصرخون لمراسلى الإعلام الدولى بأن القضية ليست حكاية الراهب بل فى حكاية الكشح وذهب بعضهم إلى أن القضية فى الحقيقة هى مطالب مختلفة للأقباط ادعى أن هؤلاء هم الذين يمثلونها وهذا هو فى الواقع ما تعنيه عبارة "عايزين حقوقنا" التى رددها الشباب القبطى الثائر لأنه لا يمكن أن تقتصر هذه الحقوق على الاحتجاج على فضيحة الراهب السابق .

طيب أصبح الجميع يقرون بأنه من حق بل من واجب الشباب القبطى (دون سائر الأمة القبطية) أن يثور ويغضب ويتجمع فى الميادين الكبرى ويشتبك مع رجال الشرطة ويضربهم ويثير الخواطر ويعكر الأمن دون أن يعقب عليهم معقب ولا يسائلهم أحد لمجرد أن إحدى الصحف نشرت تحقيقا لا يعجبهم .. هكذا وبمنتهى البساطة جاء الاعتراف الرسمى من الدولة بتحويل أعمال التجمهر وبلبلة الخواطر إلى عملية احتجاج منظم معترف بها ومشروعة ومبررة ضد كل شئ وأى شئ وأن تتمخض هذه العملية عن نشوء تنظيم أو وعاء رسمى له حق التظاهر والتجمع وضرب الشرطة فى أى وقت إذا حدث ما يرى هذا التجمع المخصوص أنه لا يعجبه .. والاعتراف الرسمى المتمثل فى الموافقة والإقرار وعدم المساءلة بل والقبول بالحكاية كلها يعنى كما قلنا أن هناك لاعبا جديدا (على حسب مصطلحات بهوات مركز الأهرام

الاستراتيجى) قد نزل إلى الساحة فى غيبة اللاعبين الآخرين الذين أبعدوا عنها قسرا .

إن أحدا لم يلاحظ على ما يبدو أن الشباب القبطى الثائر الذى تجمع بالآلاف ليطرح مطالب سياسية ليس لها سقف وهو يرفع الصلبان ويصرخ بالشعارات ويشتبك مع الشرطة - بلا خوف - إن هذا الشباب الثائر أو الغاضب قد أصبح الآن وحتى إشعار آخر اللاعب الوحيد على الساحة السياسية أو فى الشارع المصرى .. ذلك لأن الحكومة ليس لها جماهير وما كان يسمى بأحزاب أو قوى المعارضة قد فقدت الجماهير القليلة المتعاطفة معها منذ عهد بعيد بعد تحالفها لضرب التيار الإسلامى .. أما ذلك الأخير فجماهيره مضروبة ومعتقلة ومحاصرة ومعها الجماهير الطلابية والنقابية والعمالية والشعبية وحتى الإقليمية والعصبية .

لقد حدث تأميم كامل وإبعاد وإخلاء للشارع السياسى المصرى وتصفية الجماهير والقوى التى كانت فيه أو التى يمكن أن تنزل له ، وارتاح البعض لهذه العملية وظنوا أنها هى ضمان البقاء والانفراد بدون معارضة أو مواجهة أو تعب فكرى لكنهم لم يحسبوا حساب أنهم قد يحتاجون لجماهير حتى ولو كانت معارضة لكى يستطيعوا الحديث عن وجود سياسة ونظام سياسى أصلا كما أنهم قد يحتاجون لجماهير لمجرد مساندتهم فى حالات الطوارئ الخارجية والداخلية .. وهكذا نسى البعض التفكير السياسى السليم فى غمرة وهم القوة والانفراد حتى استيقظوا على صدمة تنظيم الشباب القبطى الغاضب أو الثائر .

ولعل هذه الصدمة من نزول لاعب جديد ووحيد على الساحة التى ظنوا أنها أصبحت خالية هو ما يفسر حالة الارتباك والتخبط فى ردود الأفعال والتى تجلت فى هوجة الاعتذارات والبيانات التى فرضوا إصدارها على طوب الأرض فى محاولة يائسة لاحتواء الموقف بالطريقة الوحيدة التى يعرفونها .

وأهم ما يميز ذلك اللاعب الجديد والوحيد على الساحة هو أنه لاعب طائفى بشكل واضح وقاطع فهو يصيح مطالبا بالحقوق (عايزين حقوقنا) ولا يفهم هذه الحقوق على أنها حقوق شعب أو وطن بل حقوق طائفة دينية محددة كما أن هذه الحقوق لا يطالب بها إلا فى مواجهة طائفة أخرى .. ولا مجال ضمن هذه الحقوق للحديث عن حقوق لكل المصريين من أى نوع ..

وهكذا فإن شيطان الطائفية الذى حذرنا منه العلمانيون طويلا واستخدموه مبررا لضرب التيار الإسلامى وحده وبكل وحشية ولا قانونية يعود الآن ليطل برأسه وسط حفاوة الجميع وترحيبه وتضفى عليه القانونية والمشروعية والتبرير بل وينصب كالطرف الفاعل الوحيد والمتحرك الوحيد على الساحة السياسية والاجتماعية المصرية .

فهل هذه يا ترى هى الديموقراطية العلمانية العولمية الجديدة التى تستبعد كل الأطراف من الساحة بحجة محاربة الطائفية حتى ولو كانت تلك القوى اجتماعية وفكرية ثم تعود لتنصب على الساحة طرفا وحيدا ليس له ما يميزه سوى أنه طائفى حتى النخاع ؟

لقد ولغوا فى دماء الشباب المسلم بحجة أنه طائفى وهو لم يكن كذلك وها هم الآن يضربون تعظيم سلام لطرف واضح الطائفية إلى حد أنه لا يبالى حتى بطرح مطالب عامة ووطنية ولو على سبيل ذر الرماد فى العيون.

قد يكون لصدمة ظهور فريق الشباب القبطى الغاضب أو الثائر علاقة بردود الأفعال المتخبطة لكن القبول بهذا التنظيم والترحيب به والتعامل معه كتنظيم شرعى له وجوده المبرر يدل على أبعاد أخرى .

إن ازدواجية المعايير العلمانية فى التعامل تفرض من ناحية إنكار أى وجود إسلامى حتى ولو دينى بحت بحجة الحرب على الطائفية وتفرض من ناحية أخرى وجود كيان سياسى طائفى واضح وبحجة الحرية !!..

وهذه الازدواجية هى انعكاس للازدواجية الأمريكية المعروفة والتى ينقلها العلمانيون حرفيا .. فأمريكا تطالب باعتقال نشطاء الحركة الإسلامية فى فلسطين فى نفس الوقت الذى تغدق فيه المحبة والحنان على متعصبى وإرهابيى اليهود هناك .. بل لعل البعض فى الصف العلمانى يرحب بهذه الازدواجية لسبب آخر وهو أنها ستعطى مزيدا من الدفعة للمزيد من ضرب التيار الإسلامى بحجة تلبية مطالب اللاعب الجديد والوافد الوحيد .

لقد أعلنت صحيفة الأهالى والتى أصبحت تنطق بلسان الكنيسة الأرثوذكسية أن جهاز الأمن هو المسئول عن تسريب شريط الفضيحة إلى صحيفة النبأ التى يرعاها (أنظر العدد

الواحد والعشرين) ومعنى هذا أن تنظيم الشباب القبطى الثائر أو الغاضب قد دخل إلى الساحة السياسية من أوسع أبواب المجد بتلفيق قضية أمن دولة لوزارة الداخلية نفسها ثم بالاشتباك بدون خوف مع الأمن المركزى .

والسؤال الآن هو : ما الذى سوف يحدث بعد نزول هذا التنظيم إلى الساحة .

السيناريو الوحيد الممكن الآن بعد النزول القوى والاعتراف الكامل ثم التراجع المهين أمام هذا التنظيم هو تقديم المزيد من الامتيازات والتنازلات له لكى يتحقق شعاره المعلن "عايزين حقوقنا" ، كذلك المتوقع المزيد من الضرب للتيار الإسلامى لأن أحد أهم المطالب أو الحقوق التى يرفعها التنظيم الجديد هو التصدى لما يسمى بالتطرف الإسلامي الذى يقال إنه يستثير الغضب الشبابى الجديد.

وهكذا انتهت حدوتة النبأ بإظهار الشباب القبطى الثائر إلى دنيا العلن من دنيا الغيب وربما كان هذا مكسبا فى نهاية المطاف لأن البعض الذى يرفض قيام حزب أو تجمع إسلامى بحجة الطائفية قد فقد الآن هذه الحجة بعد اعترافه الرسمى بحركة الشباب القبطى الغاضب .

التجديد

فى مؤتمر باهت ، عقد ما يسمى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية (وهى الهيئة التى أنشئت فى العهد الناصرى لتجب دور الأزهر لكن ذلك لم يتحقق) مؤتمرا حول موضوع التجديد فى الإسلام وحسب ما نقلته الصحف الرسمية من مجريات هذا المؤتمر دار الحديث فيه حول كيل المديح للتجديد .

وكأن هذا التجديد هو أحد كبار المسئولين المطلوب إصدار بيانات الشكر والتأييد والمبايعة لهم .

وتحول الأمر إلى مجرد مزايدة مضحكة على طريقة شربة الحاج محمود التى تشفى جميع الأمراض فكل من تحدث فى هذا المؤتمر حسب ما نقلته الصحف لم يجد ما يقوله سوى الكلام عن أن التجديد (الذى لم يعرفه أحد) هو البلسم الناجع لعلاج كل الأدوار والأمراض والمشكلات والمعضلات .

ويبدو أن القائمين على المؤتمر قد أصابتهم "خضة" من كثرة ما تحدثوا عن التجديد وظنوا أنهم بذلك قد أحدثوا انقلابا فى العالم

الإسلامى (بينما لم يشر أحد إلى هذه المناسبة الرسمية الفاترة) فأصدروا بيانات عدة بعد انتهاء تجمعهم جرت على لسان عدد من المسئولين ، يقولون إن التجديد الذى بشروا به لن يتعرض لثوابت العقيدة والشريعة وكأنهم بالفعل على ضعفهم وعدم اهتمام الناس بهم قادرون على هز هذه الثوابت والتعرض لها .

وجاء هذا النفى فى حد ذاته وعلى طريقة يكاد المريب يقول خذوني لكى يفضح النوايا الكامنة وراء هوجة الحديث الغوغائى غير المفسر ولا الموضح عن التجديد .. فكأن أصحاب المؤتمر شعروا بأن الناس أدركت وجود مخططات غير معلنة وراء الإسراف فى مديح التجديد بدون تحديد مضمونه فأرادوا أن يهدئوا الخواطر الثائرة أو المرتابة بتلك البيانات التى لم تفعل سوى إثارة المزيد من الشكوك لأن الناس لم تعد تصدق البيانات ، وبالذات تلك الصادرة عن أصحاب المؤتمر الذى قال عنهم الشيخ الشعرواى عليه رضوان الله ذات مرة إنهم خدعوه ، وكان عليه الرحمة فى مرض الموت .. ولريبة الناس وشكوكهم مبررات كثيرة ولديهم أدلة واضحة أبرزها أن الحديث المسرف عن التجديد دون تحديد المضمون ودون تقديم تعريف واضح لهذا التجديد لابد أن يثير التساؤلات .. فإما أن هؤلاء المتحدثين عن التجديد ليس لديهم معنى أو تعريف أو مفهوم واضح عنه (وهو الاحتمال الأغلب) وفى هذه الحالة فإن مؤتمرهم هذا لا يعدو أن يكون ضرباً من التفاهة العبثية .. وإما أنهم يضمرون معانى خفية ولهم أهداف غير معلنة من وراء الحديث المستفيض فى مدح التجديد من حيث إنهم يمتدحونه فى العلن كفكرة غير محددة المعالم ثم يخرجون عند الجد أو عند التنفيذ بمضامين معينة لا تقبلها الأمة وهو بالضبط ما أشارت إليه بيانات أصحاب المؤتمر اللاحقة عندما تحدثوا عن عدم اقترابهم من الثوابت .

وهذه البيانات هى الأخرى كما قلنا أشعلت الشك لأن أصحابها أنفسهم لهم مواقف معروفة من حكاية الثوابت هذه بحكم ما يزعمونه لأنفسهم من استنارة وتقدمية فلسفية تجعلهم يقلصون حجم ومساحة هذه الثوابت بل لا يكادون يعترفون بوجود ثوابت فى الشريعة بالذات من منطلق اعتناقهم للفكر النسبى .

وهكذا وببساطة شديدة وبدون أن يتهمهم أحد حكم أصحاب المؤتمر على أنفسهم بالشك

والريب لمجرد أنهم حاولوا إنقاذ مؤتمرهم من غياهب النسيان ولفت الأنظار إليه ، فإذا كانت هذه هي عقلية دعاة التجديد المزعومين وتخبطهم بين تفاهة وتطويع بإلقاء الشكوك على أنفسهم .. فكيف يثق الناس بهم .

شنغهاى

اجتمعت روسيا والصين وثلاثة من بلدان وسط آسيا الإسلامية فى مدينة شنغهاى الصينية لكى يكونوا حلفا ضد الإسلام تحت شعار محاربة التطرف والإرهاب والانفصالية الإسلامية (أى أنها انفصالية إسلامية فى بلدان وأقاليم إسلامية !!) ولم يعلق أحد من البلدان الإسلامية أو حتى الكتاب الإسلاميين على هذا الحدث الخطير الذى يشهد على العلن لأول مرة تكوين حلف مضاد للإسلام تقوده بلدان يقال إنها تستعد لوراثة أمريكا فى قيادة العالم مع مرور القرن الحالى .

وهذا التحالف يضاف إلى تحالفات أخرى غير معلنة ولكنها قائمة بالفعل مثل مشروع التعاون العسكرى الإسرائيلى - التركى ، والإسرائيلى - الأثيوبى ، والإسرائيلى - الهندى .. وبالطبع الأوروبى - الأمريكى .

إن خطورة هذا التحالف الجديد أنه شرس ويتألف من دولتين (روسيا والصين .. ولاسيما الأخيرة) تتسمان بالعداء الشديد والتاريخى للإسلام سواء من عهد القياصرة الروس أو فى عهد احتلال الصين للأقاليم الإسلامية فى غربها ..

ويحدث هذا التحالف فى الوقت الذى يطرح فيه البعض التحالف المصرى أو العربى مع الصين أو روسيا كبديل عن التحالفات القائمة مع أمريكا ومع أوروبا ..

والواقع أنه ينبغى الحذر فى إطلاق مثل هذه البدائل لأن الصين أو روسيا ليستا جمعيات خيرية مكرسة لإنصاف الشعوب وإنما هى دول لها مصالح وسياسات واستراتيجيات تاريخية تضع لها الأولوية قبل أى اعتبار آخر ..

وإن كانت هناك علاقات مستهدفة معها فلابد أن تكون هذه على أرضية من الوضوح حول مواقفها من الإسلام .. ويجب ألا نقول بأن هذه الدول لن تتحالف مع بعض الدول الإسلامية الواقعة بينها (مثل كازاخستان وطاجيكستان وتركمانستان) إنما تفعل ذلك لمواجهة خطر داخلى هو الإسلام الناهض ،

فهذا الإسلام ليس خطرا داخليا كما يزعمون إنما هم يرتبون لمواجهته على امتداد الساحة الآسيوية كما أنهم ينكرون على الشعوب الإسلامية الواقعة تحت حكمهم أبسط حقوق تقرير المصير .

الهند

المتابع للإعلام الغربي في الفترة الأخيرة أو على مدى السنوات الخمس الأخيرة يدرك وجود ظاهرة يمكن أن تسمى بظاهرة الافتتان بالهند ، فهناك كم كثير من التعليقات والأخبار المتلاحقة في الصحف والمجلات المتخصصة وغير المتخصصة في الإعلام المقروء والمسموع والمشاهد كلها تتحدث بإعجاب كبير عن تجربة الهند في بعض المجالات الاقتصادية والعلمية وتعتبرها معجزة من المعجزات التي لم تحقق مثلها حتى الدول الكبرى أو ما يعرف باسم الدول المتقدمة .

والمتابع لهذا الإعلام في مجمله يجده لا يخلو في كل يوم من خبر أو آخر يتعلق بهذا الإعجاب بالهند وما حققته من تقدم .

فهناك في مجال الصناعات الإليكترونية أو ما يسمى بالصناعات الذكية سيلا وفيضا من الأخبار حول تقدم الهند في مجال الكومبيوتر وصناعة البرمجيات وهناك في المجال العسكري فيض من الأخبار حول تقدم الهند في صناعة القنابل الذرية والصواريخ العابرة للقارات وبعض أنواع السلاح المتقدم كالطائرات المقاتلة ، وهناك في المجال الفني الإعجاب الشديد بما حققته الهند من كم إنتاجي وفير في مجال السينما ومجال الأغاني والاستعراضات الراقصة ، وهناك في مجال الاقتصاد إعجاب طاغ بما حققته الهند في مجال البورصة والأسهم والاستيراد والتصدير وبناء اقتصاد قوي مع حماية الصناعات الوطنية .

وهذا الإعجاب بالهند يصل إلى حد حجب أية أخبار أو تعليقات حول الجوانب السيئة حول هذا البلد وما أكثرها .

فعلى الرغم مع الاضطهاد الذي تمارسه الأغلبية الهندوسية على المسلمين وهم ليسوا أقلية صغيرة بحرمانهم من ممارسة شعائرهم

أو حرمانهم من العيش وفق قوانين الأحوال الشخصية الخاصة بهم ، فنحن لا نجد فى الإعلام الغربى صدى لهذا الاضطهاد ولهذا الحرمان من الحقوق الإنسانية ، وعلى الرغم مما تمارسه الهند فى إقليم كشمير المسلم من احتلال وحشى يشبه إن لم يكن يفوق ما تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى إلا أن الغرب لا يتابع ما يحدث فى هذا الإقليم وإن تابعه فإنما يكون ذلك على سبيل ذكر بعض الأحداث المتفرقة التى تقوم بها جماعات تحرير كشمير التى توصف بجماعات إرهابية .

وعلى الرغم من سيادة ثقافة الجهل والوثنية فى الهند والتى تصل إلى حد وجدنا مثلا منذ عامين أن بعض الولايات تعلن إجازة عامة لكل موظفيها وطلابها لمجرد أن إشاعة سرت تقول إن أحد الآلهة وهو على شكل فيل دبت فى تمثاله الحياة وأخذ يشرب من اللبن الذى يقدمه له العابدون .

أقول على الرغم من تفشى هذه الخرافات الوثنية ووصولها إلى المستويات العليا فى الطبقة الحاكمة وطبقة المثقفين إلا أن الإعلام الغربى لا يخاطر أبدا ولا يجرؤ على ذكرها أو التعرض لها كما يفعلون مع مظاهر التدين الإسلامى .

ويزداد الأمر عجبا عندما نجد نفس الإعلام الغربى الذى يهلل ويصفق للهند بمناسبة وبدون مناسبة يهاجم الدول الإسلامية أو الدول الأخرى التى حققت من التقدم ما لم تحققه الهند أو على الأقل ما يوازيه ، فباكستان صنعت القنبلة الذرية ، وصنعت صواريخ عابرة للقارات وبها علماء ممتازون فى مجالات عديدة ومع ذلك فإن الصورة التى ينقلها عنها الغرب دائما أنها صورة بلد متخلف تحكمه ديكتاتوريات عسكرية ، وإيران صنعت الطائرات المقاتلة وصنعت الدبابات وصنعت مجموعة من الصواريخ كما حققت تفوقا فى مجالات تتراوح من الفن إلى الاقتصاد إلى الصناعة ومع ذلك فالغرب دائما ينقل عنها صورة سيئة باعتبارها بلدا يحكمه التعصب الإسلامى كما يقولون .

بل وحتى بعض البلاد غير الإسلامية مثل كوريا الشمالية أو البرازيل نجد أن الصورة التى ينقلها عنها الغرب هى صورة سلبية فى مجملها رغم ما قد تحقق فى مثل هذه البلدان من تقدم ، فرغم تقدم البرازيل فى مجالات الصناعة نجد دائما أنها فى الغرب هى البلد الذى يلوث البيئة ويقتل غابات نهر الأمازون ويؤدى إلى ازدياد درجة حرارة كوكب الأرض

.. وبرغم ما حققته كوريا الشمالية من تقدم في مجالات الصناعات الحربية وصل إلى حد اختراع صواريخ عابرة للقارات ، وحد كادت معه أن تطلق أقمارا صناعية مثلها مثل إسرائيل بل وأكثر إلا أن الغرب دائما يصورها على أنها بلد وحشي تضرب فيها المجاعة ويحكمه الديكتاتوريون الذين يبيعون شعبه .

إذا نحن أمام ظاهرة فريدة فالغرب يصفق للهند ولكل ما جاء منها ويرفض ذكر أي شئ سلبي فيها وعلى الجانب الآخر فإن الغرب لا يذكر من أخبار العالم الإسلامي أو حتى من أخبار بعض الدول التابعة للحضارة الغربية في أمريكا الجنوبية مثل البرازيل أو الأرجنتين أو غيرها إلا كل الأخبار السلبية ولا يذكر لها الأشياء الإيجابية أبدا وإن ذكرها فعلى استحياء .

فما هو السبب يا ترى ؟..

السبب واضح هو أن الهند رغم أنها لا تنتمي للحضارة الغربية في الظاهر ، ورغم أنها غير منتمية إلى أية تحالفات غربية عسكرية أو غير عسكرية إلا أن الغرب يرى في الهند إمكانية مفيدة للغاية وهي إمكانية قيامها بلعب دور الشرطي الإقليمي الذي يؤدب ويعاقب ويخيف الدول الإسلامية المحيطة به والواقعة في جواره مثل بنجلادش وباكستان وأفغانستان وماليزيا وإندونيسيا بل وجمهوريات آسيا الوسطى وإيران وتركيا وشبه الجزيرة العربية .

إن الغرب يريد للهند ورغم أنها لا تنتمي للحضارة المسيحية أو للثقافة الغربية ورغم أنها لا تتدخل رسميا في أي أحلاف مع الغرب يريد لها أن تصبح مثل إسرائيل القوة الإقليمية العظمى التي يكون دورها هو ضرب أي احتمالات إسلامية واقعة في جوارها أو في حواليها ولهذا لم يكن من المستغرب وكما ذكرنا هنا منذ عدة أشهر أن يقوم تحالف وتعاون بين الهند وإسرائيل في المجالات العسكرية والنووية وغيرها .. فكلاهما مرشح من جانب الغرب للقيام بدور واحد على اختلافهما ، فإسرائيل التي لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة ملايين والهند التي يكاد يصل عدد سكانها إلى المليار ورغم كل الفوارق الساحقة في عدد السكان والمساحة الجغرافية إلا أنهما تتشابهان في زاوية واحدة وهي الدور الإقليمي الذي يريده الغرب منهما القيام به .

د . محمد يحيى

الإسلام يغزو الفضاء

قرار منظمة مؤتمر العالم الإسلامي بإنشاء قناة فضائية إسلامية تبث على المشاهدين فى أنحاء العالم برامج إسلامية بلغات حية مختلفة .. قرار حكيم أثلج صدور الكثير من الخلق طمعا فى تحقيق أهداف عديدة منها توعية المسلمين وعرض الإسلام فى إطار يصحح صورة الإسلام عند غير المسلمين .. وقد رحب به المسلمون قاطبة لما ستملؤه القناة من فراغ إعلامى فى حياة أجيال كاد التلفاز أن يكون نافذتها الوحيدة على العالم وعلى الثقافة .. خاصة وأن النشء الجديد يمل القراءة ويميل إلى التعلم من كبسولات بصرية ومسموعة كبديل عن الموسوعات والمخطوطات ..

د.عبدالفتاح الحسيني

ومع الغبطة التى عمت المسلمين عندما أذيع الخبر ، وفرحة القاصى والدانى بأن يكون هناك بث إعلامى إسلامى يعضد دعائم الهوية الإسلامية ببرامج موجهة فإن كل من يتعرض طوال ساعات اليوم فى النهار والليل إلى حملات الإعلام الهادفة الموجهة لا يسعه إلا أن يرتاب فيما تبطنه آليات التنفيذ وإن سره ما ظهر من أهداف حميدة ، وأن يتملكه الحذر من الأصابع التى قد تمتد وتعمل على تجنيد النوايا الطيبة فى خدمة أهداف مريبة .. فكم من قناة عربية بدأت مسيرتها على النهج السليم ثم تسلم قيادها فئة حولت سمر ليالى رمضان البريئة إلى كباريهات ، والبرامج الاجتماعية والثقافية المسلية إلى منصة لفئة قليلة من بائعى الكلام الرذيل وعارضى الأجساد الموبوءة بالأمراض التى استحدثتها الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية فغيرت من خلق الله وشوهت المظهر والمخبر ، لهذا فكثير من المسلمين يطرح العديد من التساؤلات عن رسالة المحطة الفضائية المزمع إنشاؤها تحت راية الإسلام خاصة وأن القناة ستكون بوقا رسميا للدول الأعضاء فى المنظمة ، ولاشك أنها ستكون مكبلة بأغلال التوجهات السياسية والدبلوماسية والقومية .. والتساؤلات منبعثة من مخاوف عديدة تتملك المسلمين فى أنحاء المعمورة رغم ما يعلقون من آمال عملاقة على البث الإعلامى الإسلامى .

تساؤلات وشبهات

الأسئلة المطروحة بصدد القناة الفضائية الإسلامية والتى قد تخطر على أذهان بعض المسلمين فى مختلف البلاد تشمل :

ألن تصبح القناة كسائر المحطات الرسمية مسرحا للقاءات وسلامات وقبلات وأحضان وإكراميات بين الصفوة المختارة من أصحاب الألقاب ، ومركزا للإطراء الممجوج والتهليل الساذج لإنجازات قومية لا وجود لها إلا فى التقارير الرسمية ؟..

أيمكن للقناة أن تتسامى عن التعرض بالسباب والهجاء على كل من لا ترضى عنه أى من الحكومات الأعضاء فى المنظمة من المسلمين وتتعالى عن الهجاء والقذف كما

تتحاشى الإطناب فى المديح ؟..

هل تستطيع القناة الإسلامية البث الإعلامى العالمى لتخدم كل المسلمين دون الدخول فى المهاترات السياسية والقومية ؟.. هل هناك إعلاميون مسلمون قادرون على القيام باختيار البرامج والكتابة والإخراج والعرض بصورة مشوقة ملائمة لذوق المشاهد مع مراعاة الثوابت العقائدية والتقاليد التى درجت عليها الشعوب الإسلامية ؟..

وإن وجد هؤلاء الإعلاميون .. فهل ستفتح لهم القناة المجال للمشاركة ؟.. أم سيديرها مندوبون عن وزارات الإعلام فى الدول الأعضاء فى المنظمة ؟..

هذه الأسئلة لا تنبئ عن شكوك فى نوايا متخذى القرار فى منظمة المؤتمر الإسلامى لكنها تنبع من خلفية عاصرت أحداثا مماثلة فى القرن الماضى ، فلقد أعلن الرئيس السابق إبراهيم عبد الهادى تحريم الدعارة فى مصر فى نفس اليوم الذى شن فيه حملات اعتقال الفدائيين العائدين من فلسطين عقب وقف إطلاق النار والهدنة مع اليهود ، وأصدر أوامره لحرس المعتقل المتاخم للحدود مع فلسطين بادعاء أن المعتقلين أسرى يهود ، وعجب أهل المنطقة عندئذ من أن اليهود يصلون مثل المسلمين .. وأعلنت وزارة الأوقاف المصرية قرارا بالالتزام بالأذان الشرعى فى كل المساجد وبترتيل القرآن وعدم التغنى به فى نفس اليوم الذى شرع الجيش فى الحكم بإعدام المواطنين ، وأنشئت محطة القرآن الكريم فى نفس الوقت الذى تم فيه إعدام دفعة جديدة من علماء المسلمين .. كما أعلن أن الشريعة الإسلامية هى قانون الدولة فى بلاد إفريقية فى نفس الوقت الذى فتحت فيه أبواب العلاقات الحميمة مع إسرائيل ، وفى باكستان عندما قامت الحكومة بملاحقة الحركات الإسلامية وتسليم من أسمتهم بالمغالين فى الدين إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمحاكمتهم بتهمة القذف فى عرض أمريكا .

تطلعات المسلمين

رب الأسرة فى ألمانيا ينشد من المعرفة ما يساعده على تربية طفله وتوجيه النشء من برامج تثقف الفتيان والفتيات ثقافة عصرية تتماشى من روح الدين ، والأم فى مصر والعديد من الدول الإسلامية تريد أن تتعرف على تعاليم دينها حرصا على التزامها وتربية النشء وتقوية أواصر المحبة بين أسرتها الصغيرة والكبيرة ، والشباب فى ماليزيا وإندونيسيا يريد أن يتعرف على إرثه وتاريخه

حتى يتشبع بروح الثقة بنفسه والاعتزاز بماضيه ، والفتيات في المغرب العربي يردن من يفتيهن في قضايا العلاقات الشخصية والاجتماعية ، والمسلم في أفغانستان يريد أن يجعل صوته مسموعا حتي يفند ما يكال إليه من اتهامات بالجمود ويطرح وجهة نظره للمناقشة ، والثائر في الشيشان يريد أن يستغيث بمن يعضد سعيه للاستقلال ، والمرأة المغتصبة في البوسنة والهرسك تريد من يرشدها إلى سبيل لنفض الأغلال التي أوثقت بها يداها ، والشاب الكوسوفي الحائر يريد من يشد من أزره ويقوي عزيمته على الصبر على الأذى بعيدا عن السياسة ، والطفل الفلسطيني الضائع بين مواثيق الاتفاقيات الدولية والمحلية يريد من يرشده إلى طريق فيه بصيص أمل .

كما أن المسلمين يتطلعون إلى طرح مشاكل حاضرة تهمهم وإلى نقاشها من وجهات نظر إسلامية قد تختلف مادام في الاختلاف رحمة فالتلميذة المحجبة في مدارس فرنسا تتطلع إلى من يشد عضدها في محاولتها لكسب نصيب من الحرية التي تنعم بها الراهبة التي تغطي رأسها والفتيات اللاتي يغطين شعرهن وفق تعاليم مذهبهن المسيحي والمسيحية التي تتقلد الصليب واليهودي الذي يضفر شعره ويغطي رأسه بقبعة أو طاقية في الفصل ، والسيخي الذي تحرم عليه عقيدته أن يخلع غطاء رأسه أمام الخلق ، والنائبة التركية التي انتخبها أهل دائرتها تود أن يسمع لها صوت عندما طردت من المجلس النيابي لإصرارها على تغطية شعرها أثناء انعقاد الجلسات رغم أنها لم تعترض على زي أي من النائبات والنواب المنتخبين الذين يرتدون ما يحلو لهم من الثياب قلت أو كثرت ، حيث لا يوجد زي رسمي موحد بينهم تختاره لهم الدولة وتلزمهم بارتداء ثياب معينة في المجلس ، فالدولة أحجمت خوفا من تأذي الأجانب عن تنفيذ قرار كمال أتاتورك بتوحيد زي الأتراك في الدواوين الحكومية والطرق العامة والمصانع والمزارع ودورات المياه وغرف النوم .. وكم من زعيم أنحى باللوم على شعبه للتباين بين الناس فيما يرتدونه من ملابس ومقاومة بعضهم ارتداء ما أطلق عليه النمط الإفرنجي في الملبس أو الثياب الأوروبية ، بل إن البعض اعتبرها من إشارات التخلف والبعض الآخر اعتبر أن بعض الأزياء تعوق الإنتاج الشعبي وأراد أن يرتدي الناس كلهم ملابس "كاكي" كالجيش وأطلق عليها الملابس الشعبية أسوة بشعب الصين الشيوعية .

تطلعات غير المسلمين

غير المسلمين يتطلعون إلى القناة الإسلامية للتعرف على عقائد جبلة من الخلق يشاركونهم تاريخا حافلا من أيام البشر على الأرض .. وهناك الفضولي الذى يحب التعرف على العقائد المغايرة والمثقف الذى يريد الزيادة من المعرفة والتلميذ الذى يعشق دراسة المجتمعات الحديثة والتاريخ القديم والمعاصر .. كما أن هناك الباحث الذى لا يكفيه قراءة ما كتب المستشرقون والفلاسفة وغير المسلمين عن الإسلام وعقائد المسلمين المعاصرين وتاريخهم .. وهناك الإعلاميون الذين يتوقون إلى إتاحة سبيل سهل للحصول على معلومات دون الحاجة للقراءة والبحث .. وهناك ساسة وخبراء فى علوم الاقتصاد والاجتماع يعوزهم معرفة ما يفكر فيه الآخرون .

درس فى قصص القرآن

فى حلقات من برامج الأطفال الذى بثتها إحدى القنوات العربية حديث عن قصة يوسف عليه السلام وموسى عليه السلام فى مصر .. قدمت الحديث سيدة محجبة تبدأ وتنهى كلماتها بديباجة دارجة فيها عبارات إسلامية قدمتها المشرفة على برامج الأطفال على أنها عميدة لإحدى فروع كلية دار العلوم خارج القاهرة .. وكلية دار العلوم تخرج منها فطاحل من الأئمة وعلماء الدين واللغة وقادة حركات إسلامية معاصرة ورواد الثقافة الإسلامية فى القرن العشرين ، من بينهم الإمام الشهيد حسن البنا والشهيد سيد قطب ، كما يدرس فيها بعض العلماء الأفاضل كالدكتور عبد الله شحاتة والدكتور عبد الصبور شاهين .

كان الحديث فى صورة أسئلة وأجوبة : سؤال موضوع على أنه سؤال موجه من طفل وجواب بدا كأنه فورى رغم أنه انطلق من فم المحدثة الملسنة فى صورة كلام معد منمق قدمته بأسلوب عصرى سهل ، حتى يستوعبه الأطفال وكانت كالجدة تقص على أحفادها الروايات الشيقة ، دفعنى الفضول للإنصات لما يقال وإن لم يكن فى البرنامج ما يشوق غير المادة الدينية ، وواصلت الفرجة رغم أننى وددت لو أوتيت من العلم ما يمكننى من ابتكار جهاز أوخز به ضمير المحدثة عن بعد ، عسى أن تفئ إلى أمر الله وتكف عن طرح الأطروحات الدخيلة على الإسلام التى تلقتها فيما يبدو على أيدى دعاة القومية القديمة التى جاءت لتثبيت دعائم الصهيونية .

وحز فى نفسى عجز الإنسان عن إيقاف سيول الهذيان بينما استطاع أن يغرس فى عقول أدعياء العلم ما يشاء من تقاوى

المغالطة والمراوغة فتتغلغل فيها جذور الشجرة الخبيثة .. قال تعالى : ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ .... (إبراهيم : الآية ٢٦)

العميدة المتعلمة التى اختصت بحديثها أطفال المسلمين روت بإسهاب تخرصات عن القصص القرآنى مضمونها :

"يوسف عليه السلام عُين وزيرا على يد (عزيز مصر) قوات الهكسوس التى كانت تحتل مصر وتسلب ثروات الشعب المصرى وتعمل فيه بالذل والاسترقاق ، وجلب يوسف عليه السلام اخوته (الأسباط) وأهله (يعقوب عليه السلام) وزوجاته من فلسطين ليعملوا مع قوات الاحتلال ويعاونوها على استعباد الشعب المصرى المظلوم ، وكان منهم من تسلل بين صفوف المصريين الذين كانوا يقاومون الاحتلال وعملوا بالتجسس لصالح الهكسوس (أى كان من الشرطة ورجال الأمن والمخابرات والمباحث السياسية) .

وتحكم يوسف عليه السلام وأهله (بنو إسرائيل) فى أقوات المصريين ، كما حجب عن المصريين دين الله لأن الإيمان بوحدانية الله وبرسله كانت تعاليم اختص الله بها بنى إسرائيل دون الخلق كله من جيرانهم ، خاصة الأمة التى يعيشون فيها .. هكذا كان للمصريين الحق كل الحق فى كراهية يوسف عليه السلام وأهله كأذناب للاستعمار وجواسيس وعسس يرصدون على الناس أنفاسهم ويحيكون لهم المكائد بظلام الليل .. لهذا حقد المصريون على أنبياء ورسل بنى إسرائيل وسعوا للانتقام منهم عندما تسنح الفرصة .. وبعد عدة سنوات تكاثر اليهود من أبناء يعقوب فى مصر حتى بلغوا عدة ملايين وتبوءوا المناصب الكبيرة فى الدولة وسيطروا على كل خيرات مصر وحرموا منها المصريين ونهبوا خزائنهم وثرواتهم .. وعندما ثار المصريون وحرروا بلادهم من الهكسوس اضطر فرعون إرضاء لشعبه أن يزيل اليهود من مناصب السلطة ويستعبدهم لخدمة شعبه إذلالا لهم على ما اقترفت أيديهم ."

بالطبع لم توضح الناطقة باسم الإسلام كيف أن بنى إسرائيل تكاثروا بتلك السرعة فى بضع سنوات (حسب زعمها وزعم اليهود المعاصرين) وتناست أن تذكر فى سياق القصص قول الله تعالى :

﴿ يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ (يوسف : الآية ٣٩)

علما بأن الصاحبين اللذين نصحهما يوسف عليه السلام ليسا من بنى إسرائيل .. ووصفت عائلة يوسف عليه السلام وآباءه باليهود رغم

مـا جـاء في القـرآن الكريم الذى تفـسـره للأطفال :

﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾
.... (البقرة : الآية ١٤٠)

وقول الله تعالى :

﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾
.... (آل عمران : الآية ٦٧)

وقوله : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .... (البقرة : الآية ١٣٢)

لكن المحدثة آثرت أن تتغاضى عن كل ذلك وتعلق على الموقف التاريخى بمزيج من الحق والباطل : لو أن اليهود لم يمالئوا الهكسوس ولو أن يوسف عليه السلام وجه دعوة التوحيد للمصريين بدلا من استئثاره بها لنفسه ولأهله لتغير وجه التاريخ واحتضن المصريون اليهود ورعوهم وآمنوا بالله وحده ، لأن المصريين شعب طيب دين مسالم ومحب للسلام ، كما أن من شيمه إكرام الغرباء فى المجتمع والدأب على رعاية الأجانب .

واستطردت عميدة فرع كلية دار العلوم فى رواية قصص الأنبياء :

لما رأى موسى عليه السلام ما أصاب أهله من اليهود من ذل وهوان هب هو وأخوه هارون عليه السلام لتحريرهم من الرق والعمل على إعادة اليهود إلى أرض آبائهم فى فلسطين حتى يعيشوا فى وطنهم يعبدون الله بحرية ويطبقون أحكام التوراة فى منجاة مما بيت لهم المصريون من ثأر وانتقام لذنب لم يرتكبوه بل ارتكبه أجدادهم بتعاونهم مع الهكسوس .. ولم يدرك فرعون مقاصد موسى عليه السلام لأن الرسالة الإلهية التى حملها موسى كانت رسالة خاصة باليهود لا المصريين ، وظن أنه يريد تحريض اليهود على التمرد ضد سادتهم المصريين وأنه يريد تجنيد اليهود لمعاونة قوات الهكسوس على العودة لأرض مصر واحتلالها والتنكيل بشعبه ..

هكذا طارد فرعون عن غير علم موسى عليه السلام وأهله من اليهود حتى فصل بينهم اليم واستطاعت الأيام أن تزيل ما فى القلوب من ضغائن ونسى المصريون ما حاق بهم على يد الهكسوس وعملائهم وجاءت فترة نعم فيها المصريون فى مصر واليهود فى فلسطين بمحبة الجوار والسلام .

لو أن هذا القصص خرج من فم حاخام يهودى لالتمس البعض له عذرا فاليهود

مختصون في تزوير حقائق التاريخ ، ولو أن القناة التى بثت البرامج محطة إسرائيلية موجهة أو غير موجهة لكان وقع الكلام أهون على الطفل والشاب والشيخ والكهل ، لكن المؤسف أن البرنامج برنامج موجه على الهواء للأطفال والنشء المسلمين وليس مجرد عبث تحويه أضابير كتب مهجورة لا يقرؤها أحد ، والمتحدثة متخصصة فى التفسير وقصص القرآن ، ولها صفة خبيرة فى علوم الدين ..

هل يا ترى سيكون هذا النمط من الإعلام هو الذى ستتبناه القناة الإسلامية ؟.. وهل سيقوم مؤلفو اليهود والمستشرقون بكتابة مخطوطات تذيعها القناة الإسلامية على المسلمين ؟.. أم أن القناة الإسلامية ستلتزم بتنفيذ خطة "آل جور" نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية السابق بإعادة صياغة المناهج التعليمية فى الدول العربية والإسلامية حتى تزول الضغائن بين العرب وجيرانهم من اليهود ؟..

وحتى لا يحدث التباس نسرد بعض الآيات من القرآن الحكيم والأحاديث الشريفة التى حرصت المتحدثة باسم الإسلام على اقتطاف ما أعجبها منها وتغافلت عما لا يؤيد رسالتها الفضائية فى التشويه وتضليل عقول النشء حيث صورت فرعون بصورة الحاكم الديموقراطى الذى رضخ لإرادة شعبه ونسيت قول الله تعالى عن نفس الفرعون :

﴿ قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين ﴾

.... (الأعراف : الآيات ١٢٣ - ١٢٤)

وتناست عندما ذكرت أن فرعون "ربما أخطأ" عن جهالة لتقصير موسى عليه السلام فى هدايته إلى الحق واستشاره بمعرفة الله ، قول الله تعالى :

﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾

.... (طه : ٤٣ - ٤٤)

وقوله : ﴿هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾

...... (النازعات : الآيات ١٥ - ١٩)

وأما عن منع الهداية عن المصريين فمن الآيات المحكمات قول الله تعالى :

﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ﴾ .... (التحريم : الآية ١١)

ومن الأحاديث الشريفة قول رسول الله ﷺ: [أفضل نساء العالمين خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية امرأة فرعون] ، وقوله [الصديقون ثلاثة : حزقيل مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار صاحب آل ياسين ، وعلى بن أبى طالب] .. فكيف آمن هؤلاء المصريون وكيف تحالف قارون مع فرعون رغم أنه من بنى إسرائيل بل يروى أنه كان ابن عم أو عم موسى عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾

.... (القصص : الآية ٧٦)

وفى تعليق ابن الأثير على قول رسول الله ﷺ : (من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) وضح موقف المتحدثة : "النهى يحتمل وجهين أحدهما أن يكون له فى الشئ رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتناول القرآن على وفقه محتجا به لغرضه ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى ، وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتج منه بآية على تصحيح بدعته عالما بأنه غير مراد بالآية وتارة يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافق غرضه ويرجحه برأيه وهواه فيكون فسر برأيه إذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الاحتمال وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن فيستدل به بما يعلم أنه لم يرد به" .

علمنة الدين

وما بثته القناة الفضائية العربية فى برامج الأطفال ليس جديدا فقد جند العلمانيون من قرابة نصف قرن مضى الكتاب لتحريف القصص النبوى والتاريخ الإسلامى لخدمة أهدافهم ولعل البعض يذكر مسلسلا رمضانيا فى إذاعة ما قبل عهد التليفزيون حيث صور المسلسل حملة فرعون على بنى إسرائيل أنها ثورة شعبية مصرية قام بها المصريون لطرد اليهود من مصر .. كان هدف المسلسل عندئذ هو التمويه عن حركة تهجير يهود الدول العربية إلى إسرائيل حتى يساعدوا على تعميرها وشد عضد جيشها فى قهر الأوطان العربية المحيطة .. وفى مسلسلات أخرى وكتب صدرت فى نفس الحقبة من التاريخ المعاصر صور الكتاب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بالزعيم الاشتراكى الذى قاد شعب مكة فى ثورة ضد الإقطاع واستغلال حفنة من الأغنياء للجماهير .. ولا أنسى يوما سألنى طفل تملكته الحيرة : "هل صلاح الدين

الأيوبي مازال على قيد الحياة ؟" ..

فلما أنكرت عليه ظنه أخرج من حقيبة المدرسة كتابا عن التاريخ وأشار إلى صورة فى الكتاب تظهر صلاح الدين وهو يسلم مفتاح الشرق لعبد الناصر .. فهل يا ترى ستكون القناة الإسلامية مرتعا للعلمانيين لبث ما أحجموا عن نشره فى القنوات الأخرى غير الإسلامية ؟..

محطات التبشير

هناك المئات من المحطات التبشيرية المسيحية التى تبث برامجها الموجهة فى أنحاء العالم بالعديد من اللغات .. كما أن هناك بعض القنوات العربية تدعمها جمعيات تبشيرية غير تابعة لأى من الكنائس المعروفة ويسيطر على تلك المحطات فرق من المبشرين المحترفين الذين يجيدون حرفة الخطابة والكلام عن غير دراية بالدين ودون مؤهلات دينية أو لاهوتية سوى حلاوة اللسان والحماس الذى قد يصل إلى حد التشنج .. ورغم أن رسالة المحطات المسيحية هى خدمة المسيحيين ونشر الوعى المسيحى وبث الدعوة للدين بين من لم يعرفوا عن المسيحية إلا القليل أو الكثير إلا أن بعض المحطات تكرس برامجها للتهجم على معتقدات الكنائس المسيحية والدعوة إلى ما تروجه الفرق الجديدة مثل "يهود لتأييد المسيح" والمسيحية الصهيونية والفرق التى تزعم أن المسيح عليه السلام لن يعود إلا إذا أصبحت القدس خالية تماما من كل من ليس يهوديا كافرا بالمسيح .. وأغرب ما حدث فى عيد الفصح السابق هو الحملة التى قامت بها بعض تلك المحطات التبشيرية بالتشكيك فى ظهور المسيح وكثير من المعتقدات التى شب عليها المسيحيون بكل طوائفهم واستضافة العديد من الذين يهاجمون المسيحية واللجوء إلى مهاجمة الكنائس التقليدية إرضاء لفريق من المشاهدين أو تشجيعا على التبرع لدعم المحطة بدلا من دعم نشاط كنائسهم .. وبانتشار البث التبشيرى دخل فى الحرفة العديد من تجار السيارات المستعملة الذين يجيدون فنون تزييف الحقائق والتدليس على المشترى والمطربين الفاشلين وهواة التمثيل الذين لفظهم الكار قبل أن يدخلوه . فهل ستقوم القناة الإسلامية بالدعم للإسلام على نفس النمط ؟.

عولمة الدين

والمسلمون يخشون سيطرة تيار العولمة على القناة الإسلامية ومخاطر الانجراف فى تيار تغييب فحوى الدين عن كل ما هو دينى بالضرورة تحت الضغوط الدولية ، فتقوم

المحطة بالدعاية للديانة الإبراهيمية التى تضم كل الديانات السماوية تحت مظلة واحدة ، ويحجم الفقيه عن قولة حق لأن المشاهدين قد يكونوا غير مسلمين ، ويتميع مضمون الأحاديث الإسلامية خوفا من تهمة الجمود أو المغالاة أو عدم التسامح .. بل قد تصل مجاملة أتباع الأديان الأخرى بالقول أن الدين لله والعالم للجميع وأن ما من أحد يدرى ما هو الدين الحق .. وباسم العولمة وعدم الخروج عن صف المتعولمين قد تنسى المحطة رسالتها مجاملة للبوذيين والبراهمة وغيرهم .

هذا رغم تعدد البرامج التى تسب فى الإسلام صراحة على المحطات التبشيرية دون أن يجسر أحد على الاعتراض بعذر أن المحطة مسيحية وما يقال ليس موجها لغير المسيحيين .. وهم فى هذا محقون وإن كان الأولى بهم عدم سباب المسلمين والافتراء على الإسلام وإن أبدوا رأيا فيه نقد لاذع للإسلام أو أعلنوا كفرهم بكل ما يعتقده المسلمون ، فالعقائد الدينية تختلف عن الآراء والأفكار بأنها لا تقبل المساومة ولا تتغير بتغير المستمع أو المشاهد .

وشر البلاء الذى قد يصيب القناة الإسلامية هو أن تحمل على كاهلها مهمة الاعتذار عن أفعال المسلمين وتبرير أحكام الإسلام أو تأويلها بما يلائم أمزجة فتوات العولمة وعصاباتها ، فإن ذلك سيؤدى إلى تحويل القناة إلى بوق لسباب كل معارض فى بلد إسلامى ولعان كل مسلم لا تعجبه العولمة أو لا يرتاح باله للعلمنة .

والشاهد على ذلك موقف الإعلام العربى والإسلامى من هدم تماثيل بوذا فى أفغانستان فرغم احتمال السداد فى بعض ما قيل من آراء معارضة إلا أن العديد من التعليقات كان مضمونها أن الذى يحدث فى أفغانستان سيشوه سمعة الإسلام وسيؤدى إلى تحامل العالم على المسلمين وكأن العالم متيم بالمسلمين وفى حالة عشق وتعلق بالإسلام لا يداويه من ولعه غير فتاوى الأفغان ..

وفى الواقع إن نقض فتوى بفتوى أخرى مخالفة أمر لا مغبة له فليس فى الاختلاف فى الاجتهاد تجن على الدين ولوم مفتى على فتوى دون مراعاة لما أجمع عليه المسلمون لوم قد يكون فى محله أما مهاجمة فتوى فى أمور الدين على أن المفتى لم يبال بوقع فتواه على غير المسلمين أو لم يراع ملابسات سياسية قائمة ففى ذلك جنوح إلى الباطل .. ولا أحسب أن بابا الكاثوليك عندما يصر على تحريم منع الحمل وتجريم الإجهاض يضيره أن تسوء سمعة الكاثوليكية لدى حكومة الصين

التى تحرم إنجاب أكثر من طفلين لكل عائلة أو أن تهاجمه الجمعيات النسائية المنادية بحرية المرأة فى إجهاض نفسها .. ولا أحسب أن اليهود والحاخام الأكبر تملكهم الخشية من أن تسوء سمعة اليهودية عند تعديهم على المسجد الأقصى وسب المسلمين .. ولا أعتقد أن قواد إسرائيل ضارهم ظن العالم بإنسانيتهم عندما وأدوا الأسرى المصريين فى سيناء ، ولا أعتقد أن موشى ديان أخذ فى الاعتبار استياء غير اليهود عندما أعلن عزم اليهود استرداد المدينة المنورة التى سلبها المسلمون من أجداده ، بينما عض البعض على الأنامل غيظا خوفا من عدم ارتياح اليهود لسماع هتاف : "خيبر خيبر يا يهود ، جيش محمد سوف يعود" ، واتهموا الهاتفين بأن هذا يتعارض مع روح الإسلام السمحة !!..

اللافتة الإسلامية

لعل القلق الذى يصيب بعض المسلمين من أمثالى عند ذكر "قناة فضائية إسلامية" هو الصفة الإسلامية التى يضيفها الاسم على محطة الإرسال ، فهذه التسمية لا تسمح بالهفوات ولا التجاوزات وتتطلب الالتزام بالحدود التى وضعها الدين وهو أمر غير يسير فعندما تشترى دواء من "صيدلية الإسلام"

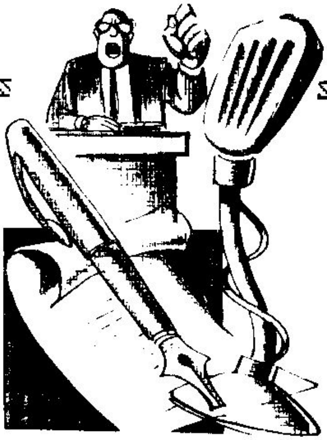

ويغشك البائع فلن يتوقف غيظك عند حد الوقوع فريسة فى يد غشاش .. وعندما يتوج كاتب مقالا صحفيا باسم الله الرحمن الرحيم لن تتوقع أن يكون المقال ترويجا للموبقات ، ولن تتسلى بقراءة الصحيفة وأنت فى دورة المياه .. وهناك محطات إرسال مثل محطة "إقرأ" حيث الاسم فيه مضمون إسلامى وبرامجها إسلامية ولكنها لا تسمى بالمحطة الإسلامية ، كما أن بعض المحطات الأخرى تلتزم بتقاليد الإسلام رغم أنها محطات حكومية ، ولقد أخرج العقاد عدة أفلام سينمائية فيها رسالة إسلامية ضمنية وإن لم تسم بأفلام إسلامية ، ولقد راجت تلك الأفلام بين المسلمين وغير المسلمين وعشق المشاهد مصداقيتها دون اللافتة الإسلامية .

د. عبد الفتاح الحسينى
الولايات المتحدة الأمريكية

مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسى

لا وقف لإطلاق النار مع استمرار الاحتلال

د. عبد العزيز الرنتيسى

موقف الدكتور عبد العزيز الرنتيسى لا غموض فيه .. "لا يوجد شئ اسمه إطلاق نار، هناك مقاومة من أجل كنس الاحتلال .. وهذه المقاومة تستخدم أساليبها لتحرير فلسطين، ولن تتوقف إذا لم تتحرر فلسطين".

• هل ستتجاوب "حماس" مع وقف إطلاق النار؟

•• بكل بساطة .. حماس لها استراتيجية ثابتة تقول إنه طالما هناك احتلال لفلسطين فهناك مقاومة ، ولن تتوقف هذه المقاومة إلا بإنهاء الاحتلال .. هذه هى الاستراتيجية السياسية الثابتة لحركتنا والتى لا يمكن أن تتغير طالما بقى الاحتلال .

وكما قلت ، لا يوجد شئ اسمه وقف إطلاق النار .. نحن لسنا جيشا .. هناك احتلال وهناك مقاومة .. ووقف المقاومة فى ظل وجود الاحتلال يعنى تكريسه والقبول به .. وحماس لا يمكن أن تقبل .

نحن ندرك الضغوط الهائلة التى تمارس فى الاتجاه الخاطئ لأنها تتركز على المعتدى عليه ، أى السلطة الفلسطينية .. وكان الأولى بهذه الضغوط أن توجه نحو المعتدى ليقال له كفى احتلالا .. الاحتلال لا ينتهى سوى بالمقاومة وهذا أمر مشروع تكفله الشرائع الأرضية والسماوية على السواء .

لكن السلطة الفلسطينية وافقت على وقف إطلاق النار ، فلماذا لا تلتزمون به من منطلق المصلحة العامة ؟

أولا : اسمحي لي أن أقول إن علاقتنا مع السلطة الفلسطينية طيبة ، ولا توجد مشاكل بيننا .. وحماس ليست الفصيل الوحيد الذى أعلن عن استمرار المقاومة طالما هناك احتلال .. وليس هناك تناقض مع ما ارتأته السلطة أصلا لأنها لا تقبل بالاحتلال .. فالاحتلال هو أبشع أنواع العدوان ، لذلك طالما هناك احتلال والجانب الصهيونى لا يلتزم بوقف عدوانه على الشعب الفلسطينى ، يجب أن تبقى المقاومة .. وهنا طبعا لا يوجد أى تناقض مع السلطة .

نحن نقول ، وكل الفصائل تقول معنا ، إن استمرار الاحتلال يعنى الإصرار الصهيونى على العدوان وبالتالى كيف يمكن أن يقابل هذا الإصرار الصهيونى بوقف المقاومة ؟ .. ومن هنا نرى عدم وجود تناقض .. فالسلطة تطالب العدو الصهيونى بالانسحاب ونحن نقول بأن هذا الانسحاب هو الحل الوحيد لوقف الانتفاضة ومن دون ذلك ستستمر .

• ألم يطلب منكم عرفات مباشرة وقف إطلاق النار ؟

•• لا ، السلطة اجتمعت مع إخواننا فى الضفة وبينت ملابسات ما جرى ، ولم يكن هناك أى طلب بوقف المقاومة ولا الانتفاضة على الاطلاق .

إحدى العمليات الاستشهادية فى تل أبيب

• ولكن كـــان هنـاك طلب بـوقـف إطلاق النار ؟

•• لا .. لا .. قلت لك لا يوجد شئ اسمه إطلاق نار .. هذه مقاومة ، ولا يوجد أي طلب لوقف المقاومـة وقلت إننا غيـر مـختلفين مع السلطة الفلسطينية .. من هنا جاء بيان القوى الفلسطينية ولجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية منسجما مع الواقع .

لغة القوة

• إذا لـم يـكـن هـنـاك وقـف لإطـلاق النار فكيف يمكن التـوصل إلى أى نوع من التفاهم ؟

•• نحن أصحاب تجربة سابقة .. عندما حاولنا وقف المقاومة بعد عام ١٩٩٦ أثناء العمليات الاستشهادية كان إسحق رابين يقول إنه سيقوم بإعادة الانتشار ، وسيفوت الفرصة على الاستشهاديين .

العدو الصهيوني لا يفهم إلا لغة القوة .. وعندما تم بعد قمة شرم الشيخ التصدى للمقاومة ، وبالفعل تم تحجيمها ووضع العراقيل فى وجهها ، ماذا فعل العدو الصهيونى ؟.. لم يتنكر فقط لكافة حقوق الشعب الفلسطينى ، بل بدأ يضع المسجد الأقصى على طاولة المفاوضات للمساومة وينكر حق شعـ... المسجد الأقصى

وعندما خفت ... وتنكرد لحقوقنا .. العدو مهلة لالتقا... فرصة للمزيد من التنحر لحقوق الفلسطينيين المشروعة .

والآن انظرى ما الذى يحدث ، شارون يصبح حمامة سلام .. لا يريد أن يرد .. نعم هو يفسرها أمام العالم بأنه ضبط نفس ، وله أهداف من ذلك ، لكن صدقينى إنه شعر بخوف وذعر عندما أدرك تماما أن المعادلة واضحة : إذا ضربتم بطائرات اف - ١٦ نضرب بالاستشهاديين .. عندما أدرك هذه المعادلة بدأ يتراجع ، وتراجعه واضح .. الموقف الحالى لا ينسجم مع عقلية شارون الذى انعدمت قدرته على الثبات أمام المقاومة .. وهذا يفسر ما جرى فى جنوب لبنان ،

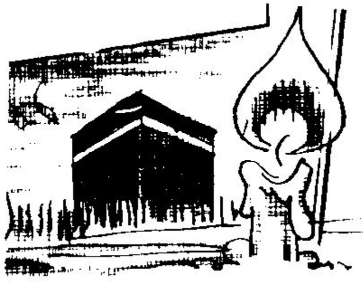

وعلينا أن نتعلم من الدروس أن المقاومة هي الحل الصحيح لإجبار العدو الصهيوني على الرضوخ لحقوق الشعب الفلسطيني .

معادلة التاريخ

• قلت إنكم ستضربون بالاستشهاديين ، واستمرار المقاومة يعني سقوط المزيد من الشهداء .. فإلى أي مدى سيتحمل الشعب الفلسطيني هذا الوضع بعدما عزت لقمة العيش ؟

•• الشعب الفلسطيني عاش طوال سنوات الاحتلال الوضع نفسه ، وتحمل وقاوم من أجل وطنه وأرضه .. إننا نعيش تحت الاحتلال ، والاحتلال أسوأ أنواع الذل .. وحياة الذل لا يمكن أن يتحملها أحد .. نحن أصحاب حق .. صحيح إننا ضعفاء عسكريا أمام عدو مدجج ، لكن هذه هي معادلة التاريخ : الضعفاء الذين يقعون تحت الاحتلال يقاومون ويقاومون ويدفعون ثمنا باهظا ثم ينتصرون .. ونحن سنستمر في المقاومة ، والمقاومة ستتصاعد وستبتكر وسائل جديدة .. فابتكار المادة الجديدة التي استعملت في العملية الأخيرة أدى إلى قتل عشرين شخصا ، وبدون شك فإن استمرار المقاومة سيؤدي إلى المزيد من الابتكارات الموجعة للعدو الصهيوني .

يجب أن لا يعتقدوا بأن الاحتلال درب مفروش بالورود وإنما بالقنابل .. ولن تكون المقاومة بلا ثمن ، بل ستدفع ثمنا باهظا في طريقها ، ولكنها الطريق الوحيدة التي ستصل بنا إلى حقوقنا المشروعة ..

وهذه المقاومة ستوقظ أمتنا العربية من سباتها .. وإذا حدثت هذه اليقظة ستؤدي إلى خطر داهم على العدو الذي يسخر من أمة عددها مليار وثلاثمائة مليون مسلم ويغتصب أرضها .

نحن دفعنا ثمنا ليس فقط من أجل قتل العدو وإيلامه إنما أيضا من أجل إيقاظ الأمة العربية والإسلامية لتقف على أقدامها من جديد وتدافع عن أرضها المغتصبة وكرامتها وحضارتها ..

إن مقاومة الشعوب لا تنتهي في أشهر .. فالاتحاد السوفيتي تكون وانهار في سبعين سنة ويعتبر أنه انهار وهو في سن الطفولة .. ونحن اليوم لا طريق أمامنا سوى استمرار المقاومة ، وإلا فسنصحو بعد عشرين سنة ونقول لنبدأ من جديد .

• العمليات الانتحارية التي يقوم بها ..

•• إنها عمليات استشهادية وليست انتحارية .

تحسب له ألف حساب ، فأوروبا لا تريد مزيدا من المسلمين فى أراضيها .

بل إن الهاجس السكانى فى مقدونيا ذاتها هو السبب الأساسى فى الأزمة المقدونية حيث يريد السلاف المقدونيون تغيير المعادلة السكانية لصالحهم حتى يبقوا دائما هم الأغلبية المسيطرة .. فماذا تقول الأرقام الإحصائية فى هذا المجال ؟

الأرقام الرسمية التى تروج لها الحكومة المقدونية تعطى للسلاف المقدونيين أكثر من ٦٥٪ وللألبان أقل من ٢٥٪ والباقى يشمل أقليات قومية أخرى كالأتراك والصرب والبلغار والكروات والرومانيين ..

أما الأرقام التى يذيعها الألبان المقدونيون فهى تعطى المقدونيين السلاف ٣٠٪ فقط والألبان ٤٠٪ وتعطى ١٢٪ للأتراك والبوماك والبسنويين (وهذه كتلة مسلمة تضاف إلى رصيد الألبان) والباقى موزع على قوميات أو أقليات أخرى .

وتتعمد السلطات المقدونية التلاعب بإحصاء المسلمين بوسائل مختلفة ، فمثلا ترفض الحكومة إعادة الجنسية المقدونية لعدد كبير من المسلمين يتراوح بين ٢٥٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف نسمة كانوا يعيشون فى جمهوريات يوغوسلافية أخرى مثل كرواتيا وصربيا والبوسنة والهرسك وسلوفينيا ، فلما انفصلت هذه الجمهوريات عن يوغوسلافيا رفضت حكوماتها منح هؤلاء الناس جنسيتها بحجة أنهم ينتمون إلى دولة أخرى هى مقدونيا ، فلما وُضعت الحكومة المقدونية أمام الأمر الواقع اضطرت إلى تقديم حل وسط وهو السماح لهؤلاء الألبان المسلمين بجواز سفر مقدونى يساعدهم على الانتقال من بلد إلى بلد آخر إذا أرادوا ، ولكن حرمتهم من الجنسية الكاملة وحقوق المواطنة خصوصا حقوق الترشيح والانتخابات سواء فى الحكومة أو الإدارات المحلية .

فإذا عرفنا أن مجموع سكان مقدونيا كله لا يزيد عن ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ نسمة تبين لنا أن حرمان ثلاثمائة ألف ألبانى مسلم من حقوقهم السياسية يعنى الشئ الكثير فى إضعاف قدرة المواطنين الألبان على المشاركة السياسية فى الحكم والإدارة .. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل توجد هناك قوانين وإجراءات تعسفية فى انتخابات نواب الشعب للبرلمان المقدونى تبلغ حد التمييز العنصرى .

ففى مجلس النواب يوجد ١٢٠ مقعدا لا يستطيع المسلمون الألبان الفوز - بسبب هذا التمييز - إلا فى حدود عشرين إلى خمسة وعشرين مقعدا ، فلابد من توافر ١٥ ألف ناخب

مسلم فى الدائرة لانتخاب نائب مسلم للمجلس فى حين يكفى فى المناطق الأخرى ذات الأغلبية المسيحية توفر ثلاثة آلاف ناخب ، وهذا العدد يساوى خُمس العدد اللازم لانتخاب مسلم فى البرلمان .

ويبدو الأمر نكتة لا يصدقها إنسان ولكن هذا هو الواقع فى مقدونيا العجيبة !!.. لذلك ينبغى أن نتنبه إلى السياسيين المقدونيين والأوروبيين عندما يتحدثون عن مقدونيا الديموقراطية ، لنعرف عن أى ديموقراطية يتحدثون .

هذه المواطنة المنقوصة لمسلمى مقدونيا والسياسة المستمرة لإبعاد القوة البشرية الألبانية عن المشاركة فى السلطة والإدارة ومحاصرة جهودهم للخروج من دوائر الفقر والبطالة وعدم الاعتراف بمدارسهم التى تعلم باللغة الألبانية واستبعادها من الانفاق والمساعدات الحكومية وعدم الاعتراف بجامعتهم الجديدة التى أنشؤوها على نفقتهم الخاصة والاضطهاد الذى بلغ حد إلقاء رئيس الجامعة وأعضاء هيئة تدريسها فى السجون كمحاولة لإغلاق الجامعة الوليدة وإنهاء نشاطها وعدم توجيه أى اهتمام للتنمية الاقتصادية أو الاجتماعية إلى المناطق التى تسود فيها أغلبية من السكان الألبان ، كل هذا يعبر عن محاولة متصلة من جانب السلطات المقدونية العنصرية لتحويل حياة المواطنين الألبان إلى جحيم يؤثرون عليه الهجرة إلى خارج مقدونيا ، ربما إلى تركيا أو ألبانيا فهذا جائز ، ولكن ليس إلى دول أوروبا التى تضيق ذرعا بالمسلمين وترفض رفضا قاطعا استقبال المزيد منهم ، فبريطانيا من قبل أغلقت حدودها فى وجه اللاجئين البشناق الذين فروا من المذابح الصربية فى البوسنة فلم تسمح إلا لعشرات منهم بالإقامة المؤقتة ، وأما ألمانيا والنمسا اللتان استقبلتا أعدادا كبيرة من البشناق فتجدان حتى اليوم صعوبة شديدة فى إعادة هؤلاء اللاجئين إلى ديارهم التى أحرقها الصرب ولا يريدون عودة المسلمين إليها .

لذلك لم تتدخل دول أوروبا طالما ظلت الضحية مستسلمة للظلم أو لاهية عنه ، فلما انتفضت الضحية وأصبح لفصيل منها أنياب وأسلحة مؤثرة لم يعد الصمت الأوروبى مفيدا وأصبح التدخل لازما ..

من هنا تأتى أهمية المقاومة المسلحة للشعوب المستضعفة عندما تتغطرس القوة المستبدة وترفض الحوار وتغلق جميع السبل أمام الحلول السياسية العادلة ، وهذا ما فعله ألبان مقدونيا .

ولكن تشيع أخطاء إعلامية حيث تناقلت وكالات الأنباء العالمية مزاعم الحكومة المقدونية ورددته أجهزتنا الإعلامية ترديدا ببغاويا : أن المصادمات المسلحة التي جرت بين الشرطة المقدونية وعناصر ألبانية خلال شهر مارس ٢٠٠١م في المناطق الشمالية كانت نتيجة عمليات تسلل لأفراد من جيش تحرير كوسوفا .

هكذا صورت الحكومة المقدونية الأمر على أنه اعتداء خارجي لعصابات إرهابية دخيلة جاءت لزعزعة الأمن المستقر في مقدونيا ، ومن حق السلطات المقدونية أن تدافع عن أمنها واستقرارها ، ومن واجب الأصدقاء والمجتمع الدولي مساندتها بكل الوسائل في مقاومة هذا الإرهاب المسلح .. حتى إن وكالات الأنباء وصفت العمليات العسكرية التي قامت بها القوات العسكرية والأمنية المقدونية في المناطق الألبانية بأنها عمليات تنظيف المنطقة من الإرهابيين الدخلاء .

وأنحى أحد المعلقين البريطانيين على ألبان كوسوفا باللوم لأنهم يعضون اليد التي امتدت إليهم فآوتهم في أراضيها عندما استأصلهم الصرب في عمليات التطهير العرقي الوحشية التي جرت خلال الحرب الكوسوفية ١٩٩٨م .

كان من الواضح لي أن هذه التعليقات والأحكام المتسرعة على ما حدث في مقدونيا كلها خاطئة ، وأن مصدرها الوحيد هو تصريحات الحكومة المقدونية التي كانت تعرف الحقيقة ولكنها آثرت الكذب ، اعتقادا منها أن الانتفاضة الألبانية حادث مؤقت سرعان ما تزول أمام القمع العنيف المكثف ، ولن يعرف العالم حقيقة ما حدث إلا بعد أن تتمكن القوات المقدونية من القضاء عليها ووضع العالم أمام الأمر الواقع .. ولكن طالت الانتفاضة وتصاعدت العمليات القتالية واتضح للسلطات المقدونية أن المقاومة الألبانية المسلحة أقوى مما تصورت ، وأن المقاتلين الألبان يتمتعون بكفاءة عالية في التكتيك والمناورة فقد استطاعوا الزحف إلى ضاحية أراشنوفا على مشارف العاصمة سكوبيا وكانوا على وشك تطويق المطار الدولي هناك وتعريض العاصمة لمخاطر غير منظورة ، لولا تدخل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي الذي أقنع ستمائة مقاتل ألباني بالتراجع ، في مقابل تسوية سلمية للقضية الألبانية ، فخرجوا بشرطهم وهو أن يحملوا معهم أسلحتهم ورضخت الحكومة المقدونية لهذا الشرط راغمة .

الآن عرف العالم أن الذين يقاتلون في مقدونيا ليسوا أعضاء في جيش تحرير كوسوفا ولكنهم جيش التحرير الشعبي الألباني من أبناء

مقدونيا.

لم تكن الصورة واضحة فى ذهن المذيعة التى حاورتنى فى اللقاء التلفازى الذى أشرت إليه والذى جرى فى أوائل شهر مايو الماضى ، وقد حاولت مواجهتها بالحقائق التى غفلت عنها ومنها أن جيش تحرير كوسوفا منزوع السلاح ، فقد كان هذا أحد شروط قوة "كيفور" الدولية لحفظ السلام فى كوسوفا ولمساهمة قادة الجيش فى العملية السلمية وإدارة البلاد ،وأن مواقع تجمع أفراد هذا الجيش معروفة للقوات الدولية وتخضع لرقابة وتفتيش دقيق كل يوم ، وأن الحدود بين كوسوفا ومقدونيا مغلقة أمام أي تسلل بواسطة القوات الدولية المنتشرة فى المنطقة .

وبالتالى فإن الانتفاضة الألبانية المسلحة قوامها ألبان مقدونيا ، وأنه إذا كانت لألبان كوسوفا أهداف تتعلق بالحصول على الاستقلال التام عن صربيا أو يوغوسلافيا فإن ألبان مقدونيا لهم قضية أخرى مختلفة تماما فهم لا يريدون الانفصال وإنما يطالبون بممارسة حقوقهم الطبيعية المهدرة والمساواة فى المواطنة ويطالبون بتغيير الدستور والقوانين والإجراءات التعسفية التى تهمّش وجودهم فى مقدونيا .

وقد أدلى زعيم الحزب الديمواقراطى الألبانى "آربن جعفرى" وهو عضو فى الائتلاف الحاكم فى مقدونيا بتصريح قال فيه : إن جيش التحرير الشعبى وقائده على أحمدى ليسوا من الإرهابيين ، وإن هذه الفصائل ليست مستوردة من كوسوفا بل من صميم الشعب الألبانى فى مقدونيا ولا يمكن وصف المقاومة الألبانية بالإرهاب .

وفى ٢٠٠١/٥/٢٢م اجتمع قادة الأحزاب السياسية : آربى جعفرى عن الحزب الديمواقراطى الألبانى وعمر عمرى زعيم حزب الرخاء الديموقراطى مع على أحمدى قائد الجيش الشعبى بمدينة بريشتينا عاصمة كوسوفا ، واتفقوا جميعا أمام شهود من المجتمع الدولى على أهداف خمسة ومطالب ثمانية . من بين هذه الأهداف :

الحفاظ على وحدة أراضى مقدونيا المعترف بها دوليا ، والتعايش السلمى بين الشعبين السلاف المقدونيين والألبان ، وعدم القبول بتقسيم مقدونيا على أساس دينى أو عرقى كما حدث فى البوسنة والهرسك ، والاعتراف بأن الطريق الوحيد للخروج من الأزمة المقدونية هو طريق الحل السياسى تحت رعاية المجتمع الأوروبى والولايات المتحدة ، وأن مستقبل مقدونيا هو التكامل مع المجتمع الأوروبى .

أما المطالب الثمانية فتتلخص فى الآتى :

١ - تغيير بنود الدستور المقدونى التى

تتجاهل وجود الشعب الألبانى .

٢ - الاعتراف الرسمى بالتعددية العرقية والثنائية فى اللغة الرسمية لجمهورية مقدونيا (الألبانية والمقدونية) .

٣ - تحقيق العدالة فى المشاركة بمؤسسات الدولة وبخاصة فى الجيش والشرطة بحيث لا تكون احتكارا لعنصر واحد من عناصر الأمة .

٤ - منح سلطات موسعة لمؤسسات الحكم المحلى (البلديات) .

٥ - المساواة التامة بين الشعبين المقدونى والألبانى أمام الدستور .

٦ - مراجعة القوانين والإجراءات المنظمة للانتخابات وتنظيم انتخابات ديموقراطية على أسس صحيحة من المساواة حتى يكون التمثيل النيابى ممثلا للقوى الحقيقية فى المجتمع .

٧ - المساواة التامة فى وسائل الإعلام .

٨ - إنهاء وجود جيش التحرير الشعبى بالوسائل السلمية وإدماج أفراده فى الجيش والشرطة .

وهكذا يتبين لنا أن الاتفاق الذى وقّع عليه قائد جيش التحرير الوطنى الألبانى مع القادة السياسيين يصرح بوضوح أن هدفهم النهائى هو تفكيك جيش التحرير وتسليم أسلحته للسلطات وإدماجه فى مؤسسات الدولة إذا قبلت الحكومة بالدخول فى مفاوضات جادة للوصول إلى حلول سلمية ، ولا يقول هذا الكلام إرهابيون خارجون على القانون يمارسون العنف بلا هدف .. وليس فى هذا الاتفاق أى إشارة إلى الانفصال أو تقسيم أراضى مقدونيا بل يحرص الجميع على وحدة الأراضى المقدونية والقبول بالعمل الديموقراطى والتعددية والحوار السلمى .

فهل تستجيب الحكومة المقدونية لهذه المبادرة؟.. وهل يقبل بها وزير الداخلية المقدونى أو رئيس وزرائها وهما من المتطرفين العنصريين الذين لا يرون سوى حل واحد للأزمة المقدونية هو تصعيد العنف ضد الألبان للقضاء على ثورتهم واستئصالهم من مقدونيا وهو نفس الحل الذى لم ير سواه السفاح ميلوسيفيتش من قبل فى البوسنة وكوسوفا وكذا السفاح الإسرائيلى شارون بالنسبة للانتفاضة الفلسطينية والوجود الفلسطينى .

لقد أعلن وزير الداخلية المقدونى استقالته من المهمة التى أسندت إليه للتنسيق بين القوات العسكرية وقوات الأمن فى عملياتها ضد المقاومة الألبانية عندما شعر بأن الرئيس المقدونى بوريس ترايكوفسكى على وشك القبول بالحل السلمي الذى يعرضه عليه قادة حلف شمال الأطلسى والاتحاد الأوروبى والتوقف عن عمليات الإبادة التى كان مخطط لها من قبل ضد الألبان .

ولم يكتف بهذا بل تآمر مع رئيس الوزراء المتشدد ضد رئيس بلاده وأطلق أعوانه من رجال الأمن الرسميين والمتخفين في ملابس مدنية للتظاهر أمام مبنى للبرلمان احتجاجا على رضوخ رئيس الجمهورية الذى قبل بالمفاوضات ووقف إطلاق النار فجمعوا له خمسة آلاف من بين الشرطة والقوميين المتطرفين فاقتحموا البرلمان وأطلقوا فيه الرصاص وهاجموا مكتب رئيس الجمهورية ومزقوا جميع ما فيه من أوراق وحطموا الأثاث وألقوا به من النوافذ إلى عرض الطريق وأخذوا يهتفون بسقوط رئيس الجمهورية .

حدث هذا يوم ٢٥ يونيو الماضى وشاهده العالم على شاشات التلفاز ليقتنع الناس بأن الشعب المقدونى لا يرضى بالحلول السلمية بل يعتبرها استسلاما وعارا يجب على الحكومة المقدونية ألا تقبله ، وأن واجب الحكومة أن تستمر فى المواجهة العسكرية واستخدام العنف المكثف للقضاء على المقاومة الألبانية المسلحة وإخضاع الشعب الألبانى لسيطرة العنصريين فى مقدونيا ، وهذا هو الفكر العنصرى الذى كان سائدا فى بلجراد قبل اندلاع الحرب فى يوغوسلافيا ، وهى الحرب التى انتهت بتمزيقها وتدمير البوسنة والهرسك وكوسوفا ، وأدت إلى الانهيار الاقتصادى وإضعاف السلطة وانتشار الفساد فى صربيا ، ومهد كل ذلك لظهور حكومة جديدة والقبض على الدكتاتور سلوبودان ميلوسفيتش وشحنه مقيدا بالأغلال ليواجه مصيره الأخير أمام محكمة مجرمى الحرب الدولية فى لاهاى فى يوم الجمعة ٣٠ يونيو ٢٠٠١م ، وهو يوم مشهود فى تاريخ البلقان بل فى تاريخ أوروبا كلها .

فهل يتعظ القادة السياسيون العنصريون فى سكوبيا ؟.. وهل يكفّ هؤلاء القادة عن ضخ الأكاذيب فى إعلامهم ؟.. هل يكفون عن إثارة المشاعر القومية المتطرفة ضد الألبان وإشعال نار حرب الأهلية بين السكان ؟.. هل يتصور هؤلاء القادة أن فى امتلاكهم للسلطة واستحواذهم على الآلة العسكرية والقوة الأمنية فى البلاد ضمانا أبديا لهم للبقاء فى الحكم والهيمنة على مصائر شعوبهم دون منازع ؟.. وهل يستسلم الألبان لمخططات الإرهاب العنصرى فى مقدونيا ؟.. وعلى أي خلفية تاريخية يقفون صامدين ؟.. وأى رصيد ثقافى يعزز عندهم هذا الصمود ؟.. وما هو مستقبل الأزمة المقدونية الراهنة ؟..

هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه فى حلقة قادمة إن شاء الله ...

محمد يوسف عدس

مستشار سابق بهيئة اليونسكو

أمن الأمة الإسلامية

بقلم : د. إدريس الكتانى

ينقسم أمن الأمة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام أساسية :

أ - أمن ثقافى .   ب - أمن اجتماعى .   جـ - أمن اقتصادى .

أ - تقوم وسائل الدفاع عن "أمن الأمة الإسلامية الثقافى" لمواجهة الأخطار التالية :

١ - الأمية والجهل بحقائق الدين والكون والحياة

الحديث الرابع عشر :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : [طلب العلم فريضة على كل مسلم] رواه ابن ماجة .

نصوص توضيحية :

لفظ (المسلم) عام يشمل الذكر والأنثى ، الصغير والكبير .

وعن علقمة عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال :

[ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم ؟! .. وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يفقهون ، ولا يتعظون ؟!

والله ليُعلمن قوم جيرانهم ، ويفقهونهم ، ويعظونهم ، ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليتعلّمن قوم من جيرانهم ، ويتفقهون ، ويتعظون ، أو لأعاجلنّهم العقوبة] رواه

الطبرانى فى المعجم الكبير .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

[من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار] .. رواه ابن ماجة .

وكان رسول الله يرسل الدعاة والمعلمين إلى المدن ليعلموا الناس دون أن يتقاضوا أجرا من المتعلمين .

هذه الأحاديث والمواقف النبوية ، لا تدل فقط على إجبارية التعليم الأساسى ومجانيته بل وأيضا على وجوب نشر الثقافة الفقهية ، والتربية الوعظية المقرونة بالأمر والنهى عند ملاحظة أى انحراف يصدر من أبناء الجيران وأعضاء أسرهم ، وعلى أن التعلم والتعليم عمليتان إجباريتان على كل أفراد المجتمع الذين هم فى حالة أمية وجهالة ، والذين هم فى حالة قدرة على نشر العلم والتربية الإسلامية ، ونص العلماء على أن التعليم الأساسى (فرض عين) والتعليم المهنى (فرض كفاية) .

ولهذا ندّد القرآن بأهل الكتاب الذين كتموا ما جاء فى التوراة عن محمد ﷺ ﴿الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل﴾

.... (الأعراف : الآية ١٥٧)

فى قوله تعالى :

﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾

.... (البقرة : الآية ١٦٠)

﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ، أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾

.... (البقرة : الآيات ١٧٣ - ١٧٤)

قال الحسن وقتادة عن هذه الآيات : هى فى كل من أوتى علم شئ من الكتاب فكتمه ، وقال محمد بن كعب : لا يحل للعالم أن يسكت على علمه ولا للجاهل أن يسكت على جهله .. ولم تعرف البشرية فى تاريخ حضارتها أمرا بوجوب تعميم القراءة والكتابة واستعمال القلم فى نشر المعرفة ، وتعريف الإنسان بنشأته وخالقه ، واكتشاف العالم المحيط بوجوده ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾

.... (العلق : الآية ١ - ٥)

٢ - تشتيت
الوحدة الفكرية - (الثقافية) للأمة، والخروج عن "الجماعة الإسلامية"

الحديث الخامس عشر:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: [خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال : "هذا سبيل الله" ثم خط خطوطا عن يمينه ، وخطوطا عن يساره ، ثم قال : "هذه سُبُل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها" ، ثم قرأ :

﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾... (الأنعام : الآية ١٥٤)] رواه البخارى ومسلم

نصوص توضيحية:

وعن عرفجة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : [ستكون بعدى هنات وهنات ، فمن رأيتموه فارق "الجماعة" أو يريد أن يفرّق أمر أمة محمد ، كائنا من كان ، فاقتلوه ، فإن يد الله مع "الجماعة" وإن الشيطان مع من فارق "الجماعة" يركض] ..رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه ، كما رواه مسلم مختصرا ، (الهنات خصال الشر) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : [من فارق "الجماعة" شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه] .. أخرجه أحمد بن حنبل وأبو داود والحاكم فى المستدرك ، (الجماعة هى ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه) .

وقال عليه السلام :

[لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا] .. رواه البخارى ومسلم والدرامى وأحمد ابن حنبل وأبو داود الطيالسى .

ونصوص القرآن الكريم فى الموضوع كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ﴾ ... (الأنعام : الآية ١٦٠)

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ ...... (آل عمران : الآية ١٠٥)

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾
.... (الأنفال : الآية ٤٧)

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾
.... (آل عمران : ١٠٣)

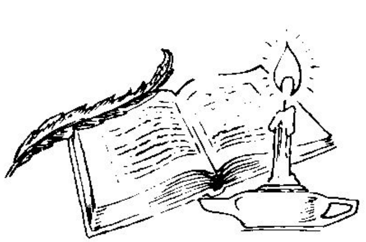

٣ - العصبية العنصرية: القومية، والطائفية، والقبلية

الحديث السادس عشر:

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

[ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية] رواه أبو داود .

نصوص توضيحية:

وقال عليه السلام فى خطبة الوداع :

[أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

[من قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية ، قتلته جاهلية] .. رواه ابن ماجه فى سننه (العمية فعيلة من العماء أى الضلالة) ، ورواه مسلم عن أبى هريرة أيضا مع الزيادة التالية :

[من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمّية ، يغضب لعصبة ، أو يدعو إلى عصبة ، أو ينصر عصبة ، فقُتل فقتلته جاهلية ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفى لذى عهد عهده، فليس منى ، ولست منه] ..

وعن عبّاد بن كثير الشامى عن امرأة منهم يقال لها فسيلة قالت : سمعت أبى يقول : سألت النبى ﷺ :

أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟.. فقال :

[لا ، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم] ... رواه ابن ماجة ، وروى أبو داود بعض هذا الحديث بلفظ : قلت يا رسول الله : ما العصبية ؟..

قال :

[أن يعين الرجل قومه على الظلم] .

وقد ندد القرآن الكريم بالتعصب الجاهلى للعادات والتقاليد التى كانت عليها القبائل والطوائف الوثنية المختلفة بقوله تعالى :

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾

.... (البقرة : الآية ١٧٠)

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾ .... (المائدة : الآية ١٠٤)

٤ - غيبة "الأمانة"

وهى إدراك الإنسان لمسئولياته الدينية والدنيوية

الحديث السابع عشر :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

[كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته] .. رواه البخارى والترمذى وأحمد بن حنبل .

نصوص توضيحية :

المراد بالعبد الأسير الشرعى فى جهاد إسلامى ، أو الخادم الأمين .. وقال عليه السلام : [لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع :

١ - عن عمره فيما أفناه .

٢ - وعن شبابه فيما أبلاه .

٣ - وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

٤ - وعن علمه ماذا عمل فيه .]

أخرجه البيهقى عن معاذ والترمذى بنحوه من حديث أبى برزة وصحّحه .

وقال تعالى :

﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ .... (الحجر : الآية ٩٢)

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ ..... (الإسراء : الآية ٣٦)

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾ ..... (النحل : الآية ٩٣)

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا﴾ .... (الأحزاب : الآية ٧٢)

بحاسب الإنسان لأنه تصرف فى حياته بكامل إرادته واختياره ، فمن اختار طريق الضلال أضله الله ، ومن اختار طريق الهدى هداه الله .

٥ - تجاهر الأفراد والجماعات - مباشرة

أو بوسائل الإعلام - بالمنكرات

الحديث الثامن عشر :

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : [لا يزال العذاب مكشوفا عن العباد ما استتروا بمعاصى الله ، فإذا أعلنوها استوجبوا عذاب الله] رواه الديلمى فى مسند الفردوس .

نصوص توضيحية :

التجاهر بالمعاصى والمنكرات - مباشرة أو بوسائل الإعلام - يمثل تحديا صارخا ضد الشريعة الإسلامية ، والأوامر والنواهى الإلهية وضد أخلاق المجتمع والأمة الإسلامية ، وحضارتها العالمية ، وتجمع نصوص القرآن والسنة النبوية على تأكيد ما جاء فى هذا الحديث ، من مثل قوله عليه السلام أيضا :

[إذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم الله بعذاب] أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أم سلمة رضى الله عنها .

[إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله] .. أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والحاكم فى المستدرك وصححه ، والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وأخرج مالك فى الموطأ عن إسماعيل بن أبى حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول : إن الله لا يعذب الخاصة بذنب العامة ، ولكن إذا عُمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة ، والطبرانى فى المعجم الأوسط عن أبى قتادة أن النبى ﷺ قال : [كل أمتى معافى إلا المجاهرين] أى المتجاهرين بالمعاصى .

وأخرج البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها قالت :

[يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟.. قال : نعم إذا كثر الخبث] .

قال العلماء : وفيه دليل على أن البلاء قد يُرفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون ، وقد يعم الصالحين إذا كثر المفسدون ، لعدم أمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ...

وأخرج الحكيم الترمذى فى النوادر عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

[لا تزال "لا إله إلا الله" تمنع العباد من سخط الله ، ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم ، ثم قالوا :

"لا إله إلا الله" رُدت عليهم وقال الله : "كذبتم" .

وجاء تأكيد معانى هذه الأحاديث فى قوله تعالى :

﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ .... (الروم : ٤١)

﴿ وإذا أردنا أن نُهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ .... (الإسراء : الآية ١٦)

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾

.... (النور : الآية ١٩)

٦ - التبعية لسنن الغير

(أى التفتح والاستسلام للغزو الفكرى

الحديث التاسع عشر :

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : [ليس منا من عمل بسنة غيرنا] رواه الديلمى فى مسند الفردوس .

نصوص توضيحية :

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : [من رغب عن سنتى فليس منى] رواه مسلم ، ورواه ابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

وفى حديث رواه البخارى وأبو داود فى باب النكاح ، أكد عليه السلام هذا المعنى بقوله : [فمن رغب عن سنتى فليس منى] ، كما ذكره أيضا ابن ماجه بلفظ : [فمن لم يعمل بسنتى فليس منى] ،

وقال عليه السلام :

[من سنّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سنّ فى الإسلام سُنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن يُنقص من أوزارهم شئ] .. رواه مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنهما ، كما رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارمى وأحمد بن حنبل وأبو داود الطيالسى بألفاظ متقاربة .

ولا يخفى أن مفهوم السنة فى هذه الأحاديث عام يشمل الأقوال والأفعال ، والأفعال تشمل اتباع تقاليد الآخرين ، والتمذهب بمذاهبهم ، والعمل بقوانينهم والاحتفال بأعيادهم ، والتمسك بعطلهم الأسبوعية والسنوية ، مما يتعارض مع القيم والمبادئ الإسلامية ، وهذا أخطر ما يعانيه العالم العربى الإسلامى فى هذا العصر ، حيث تخضع أغلبية دوله لدعاة وأنصار حضارة الكفر الغربية .

قال تعالى :

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ، ما لك من الله من ولى ولا نصير﴾

.... (البقرة : الآية ١٢٦)

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ ... (آل عمران : الآية ١٤٩)

﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ .... (النساء : الآية ٨٩)

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ .... (النور : الآية ٦٣)

٧ - الانفرادية والانعزالية

الحديث العشرون :

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

[من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يُصبح ويُمس ناصحا لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولإمامة المسلمين فليس منهم]

.... رواه الطبرانى .

نصوص توضيحية :

وقال عليه السلام من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه :

[أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ، ونهانا عن سبع ، أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعى ، وإفشاء السلام ، ونصر المظلوم ، وإبرار القسم]

.... رواه البخارى ومسلم .

[المؤمنون بعضهم لبعض نصحة وادّون ، وإن افترقت منازلهم وأبدانهم ، والفجرة بعضهم لبعض غششة متخاذلون ، وإن اجتمعت منازلهم وأبدانهم]

... رواه عبد الرزاق والخليلى فى الأربعين عن أنس رضى الله عنه .

[الدين النصيحة ، كررها عليه السلام ثلاث مرات ..

قلنا لمن يا رسول الله ؟..

قال :

لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم] ...رواه مسلم وغيره عن تميم الدارمى رضى الله عنه .

[تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا وتحابوا تذهب الشحناء] رواه مالك فى الموطأ ، عن عطاء بن أبى مسلم الخراسانى معضلا وأسند من طرق .

وجاء تأكيد هذه القيم والأخلاق السامية للمجتمع الإسلامى فى قوله تعالى :

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم﴾ ..... (التوبة : الآية ٧١)

إن هذه النصوص تعنى أنه لم تقم على ظهر الأرض "حضارة إنسانية عالمية" علّمت أفراد مجتمعاتها كيف يتواصلون ، ويتوادون ، ويتضامنون ، كما فعلت الحضارة الإسلامية .

٨ - النفاق الاجتماعي والسياسي

الحديث الواحد والعشرين :

عن عصمة بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : [من تحبّب إلى الناس بما يحبون ، وبارز الله بما يكره ، لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان]

.... رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

نصوص توضيحية :

وقال عليه السلام : [من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس] .. رواه ابن حبان فى صحيحه وابن عساكر فى تاريخه عن عائشة رضى الله عنها .

[من أرضى سلطانا بما يُسخط ربه خرج من دين الله] .. رواه الحاكم فى المستدرك من حديث جابر رضى الله عنه .

[أكثر منافقى أمتى قراؤها] أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده جـ ٤ ص ١٥١ ، ١٥٥ ، والمراد بالقراء فى الأحاديث النبوية المتعلمون أو الكتاب والمثقفون بالنسبة لمصطلح عصرنا .

[أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان] .. أخرجه أحمد فى مسنده جـ ١ ص ٢٢ و ٤٤ .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه :

إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له ، قيل له : لم ؟.. قال : لأنه يرضيه بسخط الله .

وقد ندّد القرآن فى عشرات الآيات بالمنافقين منها قوله تعالى :

﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾

.... (النساء : الآية ١٣٧ - ١٣٨)

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ .... (النساء : الآية ٦٠)

﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، إن المنافقين هم الفاسقون ، وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم ﴾ ..... (التوبة : الآية ٦٧ - ٦٨)

﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم ، وبئس المصير ﴾ .... (التوبة : الآية ٧٤)

د. إدريس الكتانى

الرباط - المغرب

د . صلاح عز

الاحتيال على الحقيقة والبطش بها

إن أول ما يلفت النظر في مقال فريدمان الكاتب المعروف هو نمط التذاكي الذي تتسم به مقالاته ، فهو بالفعل يعتبر نفسه على درجة عالية من الذكاء تمكنه من أن يحتال على القارئ بسهولة .. نلحظ مثلا أنه يبدأ وينهي مقاله بذكر حجج تروق للقارئ العربي مثل قوله عن المستوطنات أنها فعل استعماري مصيره الفناء ، وأن القنابل لن تخضع الفلسطينيين .. ولكن بين البداية والنهاية يحشر فريدمان مجموعة من الخرافات والافتراءات التي صارت من كثرة ترديدها جرعة يومية يفرضها الإعلام الأمريكي على القارئ والمشاهد منذ بدء انتفاضة الأقصى .

محاولة فريدمان دس السم في العسل إذن مكشوفة ، وهو أول من يعلم حجم المغالطات التي يحشرها عمدا في مقاله من عينة أن التاريخ الفلسطيني عمره مائة عام ، أو أن عرفات ضغط على مفتاح فأطلق الانتفاضة ، وكأنه لا يوجد نظام احتلال قمعي من أصله ..

وعندما يحض العرب على الضغط على عرفات حتى يقول "نعم" أو إزاحته واستبداله بمن يطيع ، وإلا "التهمت النار كثيرين" ، فإن هذا التلويح المكشوف بالحرب يدلل على أن فريدمان في جوهره لا يختلف عن أحبائه في إسرائيل من الذين نجحت الانتفاضة في أن تنزع عن وجوههم أقنعة الاعتدال الزائف .

لقد قامت إسرائيل على أساس عدة خرافات : أن الله اختارهم كعرق وليس كحملة رسالة ودعوة - أن الله وعدهم أرض فلسطين - أن فلسطين كانت أرضا بلا شعب .. إلخ ..

هذه الخرافات وغيرها تثبت في عقول الرأى العام العالمي غربا وشرقا ، حتى أصبح من قبيل الهزل أن يتعرض لها أحد بالتشكيك ، وذلك بسبب كثرة ترديدها ، وحجب كل ما يمكن أن يكشف حقيقتها عن العامة .. ومع تفوق الصهاينة في فن تصنيع الخرافة والأسطورة ، وسهولة ترسيخها في عقول البسطاء ، أصبح من السهل توظيفها لخدمة عدوان إسرائيل ضد العرب .

آخر إبداعات الصهاينة - التي نجحوا بها في قمع أي محاولة في "عالم الغرب الحر المتحضر" للاعتراض على الإبادة البطيئة الجارية الآن ضد الشعب الفلسطيني الأعزل - هي مجموعة الخرافات المشكلة لعناصر قصة "عرض باراك الكريم" . أو كما يقول فريدمان "الحل الوسط التاريخي" .

هذه القصة لا يكاد يمر يوم منذ تفجر انتفاضة الأقصى دون أن تظهر في الصحافة الأمريكية والإسرائيلية .. وهي تقوم على عدد ثابت من الخرافات ، التزم توماس فريدمان بإبرازها بمنتهى الأمانة في مقاله .. وفيما يلي عرض وتفنيد لأهم هذه الخرافات :

أولا : إن باراك قدم لعرفات عرضا محددا في كامب ديفيد .. والحقيقة أن ما عُرض كان بالونات اختبار وأفكارا لم يكن هناك ما يشير إلى أي جدية في بلورتها إلى واقع ملموس بدليل عدم تقديم الجانب الإسرائيلي خرائط تفصيلية للعرض المزعوم ، وكان باراك قد كشف عن نيته في حملته الانتخابية عندما تفاخر بأنه الزعيم الإسرائيلي الوحيد الذي لم يتنازل عن بوصة واحدة من الأرض للفلسطينيين ، وأنه كان أكثرهم تشييدا للمستعمرات .

ثانيا : استرداد القدس بالكامل وإزالة جميع المستعمرات .. ما كان مخططا له ، كما كشفت "مقترحات كلينتون" ، هو أن يحتفظ اليهود بما اغتصبوه في القدس الشرقية . ما يعني أن تفتقد أحياء القدس العربية التواصل الجغرافي ، فيعيش الفلسطينيون داخل جيوب محاصرة من جميع الجهات ، فضلا عن منح السيادة لإسرائيل على الحرم الشريف .. أما أكذوبة إزالة جميع المستعمرات ، فيكشفها قول باراك بشأن الاحتفاظ بـ ٨٠٪ على الأقل من التجمعات الاستيطانية .

ثالثا : إصرار عرفات على ١٠٠٪ من مطالبه .. وهذه هي أهم الخرافات التي رسخت في العقول أن الضفة والقطاع (٢٢٪ من فلسطين) يشكلان الحد الأقصى للمطالب

الفلسطينية ، وبالقطع يدرك فريدمان أن (٢٢) لا تساوى (١٠٠) .. غير أن أهمية هذه الخرافات بالذات تنبع من حقيقة أن أساسها كان فى التنازل الطوعى فى أوسلو ، ودون مقابل ، عن ٧٨٪ من فلسطين ، وعدم الإصرار على ما منحته الشرعية الدولية للدولة الفلسطينية (٤٦٪ وليس ٢٢٪)بموجب قرار التقسيم رقم ١٨١ .

كانت نتيجة هذه التنازلات الطوعية تجاهل أمريكا وإسرائيل لها ، وزيادة الجشع الصهيونى وفتح الشهية لقضم المزيد من الحقوق .

رابعا : باراك عرض ٩٤ - ٩٦٪ من الضفة والقطاع .. والضفة التى يتحدثون عنها هى الضفة بعد اقتطاع نحو ثلث مساحتها التى التهمتها تجمعاتهم الاستيطانية الملاصقة للقدس .. الكلام إذن كان عن نحو ٧٠٪ وليس ٩٩٪ .

خامسا : هدف عرفات محو إسرائيل من الوجود .. وهى التهمة التى أصبحت فى المنطقة مرادفة لتهمة "معاداة السامية" خارج المنطقة ..

وإذا كانت التهمة الثانية جاهزة لكل من ينتقد إسرائيل ويهدد أمن احتكارها للرأى فى الخارج ، فإن التهمة الأولى جاهزة لإرهاب كل من يهدد أمن الإسرائيليين فى الداخل أو فى المنطقة .

سادسا : لن يحصل عرفات على عرض أفضل من عرض باراك .. وهذا هو الكلام الذى يضيف الإهانة للجرح لأن الفلسطينى لا يساوم على أرضه ومقدساته وحقوقه حتى يتوقع "عرضا أفضل" ، والفلسطينى لن يقبل أن تذهب تضحيات شهدائه ومعاقيه ومشوهيه هباء من أجل فتات "عرض أفضل" .. بل إن إسرائيل هى التى عُرض عليها أفضل عرض ممكن (٧٨٪) وتمردت عليه .. أما العرض الأفضل الذى ينتظره الفلسطينيون فهو من إخوانهم العرب الذين كلما تهربوا من إسرائيل تجنبا لمشاكلها ، وترددوا فى استغلال أفضل لمصادر قوتهم وثروتهم ، طاردتهم هى بالمشاكل والفتن والضغوط ، وأمعنت فى إلحاق الإهانة بهم والاستخفاف بأرواح وحقوق ومقدسات شعوب العرب والمسلمين .

إن مشكلة فريدمان وأمثاله فى الصحافة الأمريكية هى اعتقادهم بأنه يمكنهم أن يخدعوا كل الناس كل الوقت ، وأن أسلحة الماضى لاتزال تصلح فى عصر المعلوماتية التى أصبح عمر الخرافة فيه قصيرا ، وأن الكلمة والتعبير بها أسلحة يجب أن تظل فى حوزتهم هم فقط حتى يتمكنوا من البطش بالحقيقة كما يبطش حلفاؤهم فى إسرائيل بالأبرياء العزل !!..

د . صلاح عز

نافذة على العالم الإسلامى

د. عبد الودود شلبى

فطانـــى

إن المسافة من كوتابارو إلى جنوب تايلاند لا تزيد عن أربعين ميلا .. وفى هذا الجنوب جنوب تايلاند يقع إقليم "فطانى" الذى يقاتل فيه المسلمون دفاعا عن العقيدة والوطن والحرية .

وقد كانت "فطانى" من قبل إمارة مستقلة ترتبط مع بقية إمارات الملايو بروابط وثيقة ومن أهم هذه الروابط الدين والعقيدة .

وفى عام ١٦٠٣ هاجمها السياميون سكان تايلاند لأول مرة ولكنهم باءوا بالفشل ثم تابعوا اعتداءهم عليها مرتين متواليتين وذلك فى عامى ١٦٣٢ إلا أنهم لم يحصلوا على ما حصلوا عليه فى المرة الأولى ، وأخيرا استطاع السياميون احتلال المنطقة عام ١٧٨٦ وقتلوا سلطانها وحملوا معهم آلاف الأسرى إلى بانجوك ، وفى العام الثانى لهذا الاحتلال أجبر السياميون سكان "فطانى" على دفع الجزية وبعد أن استعمرت انجلترا المنطقة أبرمت مع تايلاند معاهدة بانجوك عام ١٩٠٩ اعترفت فيها انجلترا بضم إمارة "فطانى" إلى تايلاند وذلك ضمن سياسة انجلترا فى تقسيم المسلمين وتسليط غيرهم عليهم .

لم تهدأ الثورات فى هذه الإمارة منذ أن حكمها السياميون فقد قامت ثورة تنكو كميدين عام ١٧٨٩ ثم قامت ثورة بقيادة داتو فكالن عام ١٨٠٨م ، وقامت ثورة الأمراء عام ١٨٣٢ كما أنها لم تهدأ بعد المعاهدة الإنجليزية التايلاندية عام ١٩٠٩ والتى أصبحت "فطانى" إثرها جزءاً من تايلاند رسميا ، فقد تفجرت ثورة كبيرة عام ١٩٤٨ بقيادة العالم المشهور الحاج محمد سولونج الذى اغتيل فى ظروف غامضة عام ١٩٥٢م ، وقسمت "فطانى" إلى خمس مقاطعات هى :

١ - "فطانى" ومركزها مدينة "فطانى" المرفأ الشهير على بحر الصين الجنوبى .

٢ - "ناراثبوت" ومركزها مدينة "نارا ثبوت" وهى مرفأ أيضا على بحر الصين الجنوبى .

٣ - "بالا" ومركزها "بالا" وهذه المقاطعة أكثر المقاطعات امتدادا فى أرض ماليزيا .

"سونغكلا" ومن مدنها الشهيرة "سادو" و "بانا" .

٥ - "ساتون" ومركزها مدينة "ساتون" وهى فى الطرف الغربى على ساحل المحيط الهندى وتتبع هذه الولاية مجموعة جزر أشهرها جزيرة "تاروتا" وجزيرة "راوى"

ويلاقى المسلمون تعنتا كبيرا من قبل السياميين ، فبعد الانقلاب العسكرى الذى حدث فى تايلاند عام ١٩٣٢م وأطاح بالملكية المطلقة ووضع السلطة بأيدى العسكريين انتشرت الدعوة القومية السيامية المتعصبة وقامت لجنة تُعرف باسم "لجنة الثقافة القومية السيامية" ..

وكان الشعب الفطانى ضحيتها الأولى فهو شعب مسلم وذو ثقافة إسلامية على حين أن السياميين بوذيون وأصحاب ثقافة بوذية وقد أغلق البوذيون المساجد والمدارس الدينية وأجبروا المسلمين على دخول المعابد البوذية .

ويذكر بعض مؤرخى الملايو :

إن كراهية أهل سيام للإسلام (سيام SIAM هى الاسم القديم لمملكة تايلاند) قد زادت عندما غلبت فى كل حروبها ضد ملقا وأخذ ملك سيام يهيئ جيشا ثالثا وهو يكاد يتفجر غيظا ، وكانت القيادة فى يد ابنه للهجوم على ملقا أملا أن يكون على يدى ابنه هلاكهم وفناؤهم ، وشعر بذلك الملك المظفر فأخذ يهيئ نفسه لاستقبال جيش العدو وهو قلق حزين لأنه يعلم تماما أنه لا يملك من العتاد مثلما يملكون وأخذ يفكر فيما يجب عمله حتى يضمن النصر للمسلمين ، وفى غمرة تفكيره دخل عليه شيخ تقى متصوف وقال

:المتصوف :

مـا لى أرى سـمـات الأسى والحـزن تعلو جبينك أيها الملك العظيم ، وقد عهدته وضاء باسما ؟..

المظفر : ألم تسمع أيهـا الشـيخ الفاضل بالهجـوم الذى دبره ملك سيـام ضـد مملكتنا وجـعل القـيـادة هذه المرة لابنه "تشـبـوبـانـدان" وأنت تعلم أنه مـقبل علينا بجيـوشه وسـوف تكون الطامـة واللطمـة للمسلمين إذا انتـصر علينا هذا الملك الكافر .

المتصوف : لا تحزن ولا تبتئس إن الله معنا ولينصـرن الله من ينصره .. أتحـسب أن الله يهزم قوما يقولون ﴿ ولا تدع مع الله إلهـا آخر ﴾ و ﴿كل شئ هالك إلا وجهه ﴾ كلا أيها الملك العظيم إن الله الذى أعـاد إليك الملك وأهلك خـالك الخائن "ريكن" ونصـرك مـرتين على سيام سوف ينصرك بقلة عددك وعتادك ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصـابرين .. ولما برزوا لجـالوت وجنوده قـالوا ربنا أفـرغ علينا صـبـرا وثبت أقـدامنا وانصـرنا على القـوم الكافـرين .. فـهزمـوهم بإذن الله وقـتل داود جـالوت وآتاه الله الملك والحكمـة وعلمـه مما يشـاء ولولا دفع الله الناس بعـضـهم ببـعض لفـسـدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ ..

وأنت تعلم أيهـا الملك أنهم يحـاربوننا ليطفـئوا نار الحقـد التى تتـأجج بين ضلوعـهم وليوسعوا من مساحات أرضهم وملكهم ، أما نحن فلا نحاربهم بل ندافع عن أنفسنا وديننا وحقـوقنا ولن يتـخلى الله أبدا عن المؤمنين ، وسـوف تذهب ريحـهم وتكون كلمـة الله هى العليـا وكلمتـهم هى السفلى فليطمئن قلبك ودعنى أيها الملك أقـابل جيش العدو وحدى هذه المرة وبطريقتى الخاصة .

فـعـجب الملك وحـار فى أمـر ذلك الشـيخ المتصوف ولكنه كان يعلم مبلغ ورعه وتقواه ، فـقال له افعل مـا تشـاء وليعنا الله على هذا البلاء ، اللهم لا نسـألك رد القضـاء بل نسـألك اللطف فـيـه ، إنى أترك لك أيها الشـيخ حرية التـصرف ، ولكن كـيف سـتـقـاتل هذا الجيش العرموم وحدك ؟..

المتصوف :

سترى بنفسك أيها الملك وأخرج المتصـوف سـهـمـا من جرابه وأطلقـه فى الهـواء قـائلا فلتـمت يا "تشـبـوبانـدان" فلتـمت بإذن الله .. ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ..؟!

ابتـسـم الملك عندمـا رأى مـا فـعـله الشـيخ المتـصـوف وهو فى شك من أمـره وسـأله ترى أيموت حـقـا يا شـيـخنا الفـاضـل ذلك المدعـو "تشـبـوبانـدان" عندمـا صـوبت إليه هذا السـهم

فى الهـواء؟.. إذا حـدث هذا فـأنت بحق من أصحاب الكرامات ..

ولم يمر سوى أيام قلائل حتى سمع السلطان المظفـر الجـواب على أسـئلتـه التى وجـهـهـا للمتصوف .. إن ابن ملك سيام "تشبوباندان" وقائده الذى كان سيرسله للهجوم على ملقا مـات قبل أن يتحرك من بلاده ، وكان يحس بأن طعنات السهام تمزق صدره ومات على أثر ذلك فحزن أبوه على ولده أشد الحزن .

ونجا بذلك المظفر وشعبه من جبروت الملك الظالم !!..

إلى ماليزيا

إن "كوتابارو" مدينة جديرة بالإعجاب والحب .. كل شئ فيها يذكرك بالإسلام والعروبة .. وقد كان منقوشا على علم جيشها القديم "لا إله إلا الله محمد رسول الله" .. وفى المعرض

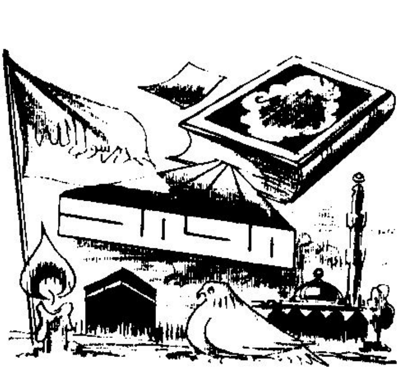

الذى افـتـتـحـه رئيس الوزراء بمبنى مـركـز الدراسات رأيت ملابس جنود هذا الجيش وقد كتب عليها : "نصر من الله وفتح قريب" ..

إن ماليزيا من أنظف بلاد العالم الإسلامى التى رأتهـا عـينـاى .. البـيـوت نظيـفـة .. والشوارع ملساء ناعمة .. لا تقع عيناك فى شوارع كولالمبور على قشة .. أو ورقة ملوثة .. إن عـقـوبة هذا الخطأ كـبـيـرة .. وفى "كوتابارو" تخلع حذاءك قبل أن تدخل البيت ، والفتيات والنساء فى غاية الوقار والحشمة ، وفى "المعهد المحمدى" يبهرك هذا البهاء فى وجوه طالبات المدرسة .

لقد استقبلنا الأخ عبد القادر محمد مدير المعهد المحمدى ، والذى درس فى كلية أصول الدين القديمة .. مرحبا بوفد الأزهر .

وصادف موعد زيارتنا للمعهد ، ولمدرسة النعيم للفتيات يوم الامتحان فى اللغة العربية وقد اخترت هذه النماذج من الأسئلة لأبين مدى تعلق هؤلاء الاخوة بالإسلام واللغة العربية تقول هذه الأسئلة :

* قيمة كل إنسان بأخلاقه وآدابه - لا بشكله ولونه .
* اكتب رسالة إلى معلمك تعتذر فيها عن عدم حضورك إلى المدرسة مبينا السبب .
* دور الزكاة فى بناء المجتمع السليم .

فى الطريق .. تسمع آيات القرآن الكريم مرتلة بأصوات - قراء مصر وتشنف أذنيك أنغام "ولد الهدى" وكأنك فى حى "الحسين" .

إنه الأزهر ذو المقام الشريف فى قلب كل هؤلاء الذين يحملون شارته فوق هذه الأرض .. ويبلغون رسالته إلى هذه الآفاق .. ويعلمون لغته وثقافته للناس .. كانوا طلبة نشأوا فى رحابه الطاهر .. فاغترفوا من معين حكمته العذب ، وحملوا أمانته بكل صدق وظلوا - كما كانوا أوفياء لجنابه سائرين فى ركابه ، مقتفين أثر شيوخه وطلابه :

محمد على هارون - يحيى عثمان - أحمد بن الحاج داود - عبد الوهاب عبد الحميد .

إن من حقكم علينا .. بل على الأزهر الذى تحبونه .. بل على مصر العزيزة الغالية لديكم .. من حقكم علينا جميعا هذه التحية .. وتسجيل مشاعركم النبيلة الزكية .

رجعنا إلى شاطئ الغرام استعداد لرحلة العودة إلى القاهرة ولم نشأ أن نترك هذا المكان حتى نسأل عن السر فى هذه التسمية شاطئ الغرام .. قالوا عن السبب فى هذه التسمية أن سلاحف البحر تأتى إليه من شواطئ استراليا لتضع بيضها كل عام مرة واحدة .. وهنا على الشاطئ يتم اللقاء بين الإناث والذكور فى عملية زواج كبرى .. ثم تعود هذه السلاحف بالرفاء والبنين - إلى وطنها الأصلى بعد ذلك إلى كانبيرا ..

ولكن قصة غرام حقيقية كادت تقع فى هذه المنطقة .. ففى حوار بين الخادم وفضيلة الشيخ محمود شوكت .. فهم الخادم من طلب الشيخ بعض المساعدة أنه يريد عروسا .. وبعد ساعات قليلة من هذا الحوار كان هذا الخادم يقف بجوار فتاة ليدق باب حجرة الشيخ التقى المبجل .. وفزع الدكتور العدوى من المفاجأة وخرج هائجا يستنجد بالدكتور عبد الجليل الذى حول الأمر إلى دعابة لطيفة !!..

قال الدكتور عبد الجليل : من هذه ؟..

الخادم : العروس التى طلبها الشيخ .

الدكتور عبد الجليل : ولكن أين أبوها ؟

الخادم : فى المدينة على بعد خمسة أميال .

الدكتور : لابد من حضوره لاتمام العقد واستلام الصداق والمهر ..

الخادم : متى يكون ذلك ؟..

الدكتور : غدا إن شاء الله فى الخامسة ظهرا ..

وفى اليوم الموعود .. وفى تمام الساعة العاشرة صباحا .. كانت الطائرة تحملنا من "كوتابارو" إلى كوالالمبور .. وبقيت قصة الزواج المعلق على شاطئ الغرام قصة تُحكى فى المناسبات الجميلة .. وتطالب أى إنسان

يتكلم بغير لغته أن يعرف دلالات كل كلمة وحرف في هذه اللغة ..

إنها مشكلة تصادف كل مسافر إلى الخارج .. وأحيانا ينطق الإنسان كلمة ينقصها حرف .. أو ينطقها دون معرفة بأصول النطق .. فتكون النتيجة عكس ما يريده بالضبط .

وداعا يا فيلم بورى ..

وداعا يا "كوتابارو" ..

وداعا يا شاطئ الغرام الذى كاد يصبح حقا وحقيقة ..!!

إلى بانجوك

من كوالالمبور ركبنا طائرة شركة الخطوط الجوية الماليزية إلى بانجوك عاصمة تايلاند .. إن الخدمة على متن الشركة الماليزية لا تقل عن مثيلاتها في أرقى الشركات العالمية .. دقة في المواعيد .. غاية في النظافة .. كل من في الطائرة يخدمونك بود ومحبة .. الشاى والقهوة يقدمان في أي وقت وكما يحب أى راكب .. وبدون ملل أو تباطؤ .

وفي بانجوك انتظرنا يوما لنركب الطائرة المصرية القادمة من طوكيو ويالها من طائرة - أقصد الخدمة فيها .. والمضيفات العاملات بها.

كان جلوسى على مقعد بجوار النافذة .. وجاءت المضيفة تحدثنى بلغة إنجليزية .. فرددت عليها بلهجة مصرية صميمة .. كنت أظن أن ذلك سيسعدها .. فنحن في غربة ، ونحلق فوق سبع وثلاثين ألف قدم وفى الغربة تشف النفوس وتتصافى .. وفى مثل هذا الارتفاع تذوب أمراض النفس وتتلاشى ..

كان الدكتور عبد الجليل قد ترك معى صندوقا صغيرا وضعته تحت المقعد .. وبعصبية بالغة ، ولهجة همجية آمرة - قالت:

- ارفع هذا من هنا ..
- ماذا تعنين ؟..
- هذا الصندوق ..
- وأين أضعه ؟..
- لا أعرف ..
- ألا يمكن التفاهم بغير هذا الأسلوب ؟
- من فضلك لا تتفلسف ..
- لست فيلسوفا .. وأنا أتحدث بلغة بسيطة إلى أخت مصرية ..
- لست أختا لأحد ..
- لقد منحتنى شرفا كبيرا ..
- ماذا تقصد ؟..
- وهل هناك شئ يستحق أن يقصد ؟..
- وهذا الصندوق ؟..
- لست صاحبه ..
- من يكون إذن ؟..
- اسألى في الطائرة ..

وطار صواب المضيفة .. وذهبت إلى قائد الطائرة الذى حضر مسرعا للتحقيق فى الواقعة فقلت للكابتن حسين .. وكان لطيفا ومهذبا : اعتقد أنكم عند تعيين هذه المضيفة لم تطلعوا على صحيفة سوابقها فى وزارة الداخلية ، ولو كان الأمر بيدى لذهبت بها إلى سجن النساء فى القناطر الخيرية ..

* * *

فى بانجوك تخوض قدماك فى وحل الخطيئة من أول خطوة - كل شئ هناك فى متناول اليد ، وعلى مرأى ومسمع من الشرطة وفى ظل قانون خدرة الحشيش والجنس والرشوة ..

أهذه هى "بانجوك" التى قرأت عنها فى الكتب ؟

منذ ثلاثين عاما كنت قد قرأت تلخيصا لكتاب وضعته مدرسة إنجليزية عن حياتها في هذه المملكة الغامضة .. وقد نشر تلخيص هذا الكتاب فى مجلة "المختار" التى كانت تصدر فى القاهرة .. اسم هذا الكتاب (الملك وأنا) .. إن الصورة التى رسمتها ببراعة هذه الكاتبة جعلتنى أحلم بزيارة هذه المنطقة : الحياة الفاتنة الأخاذة .. الشرق بسحره الغامض - الناس بعقائدهم العجيبة .. الطبيعة بتقلباتها المختلفة .. كانت "سيام" أو "تايلاند" تمثل فى خيالى حلما من أحلام الطفولة .. البراءة النقية .. الفردوس والجنة .. الحور والملائكة .. وها أنذا فى "بانجوك" .. ولكن .. أية "بانجوك" هذه التى أقف عند بابها مفعما بأحلامى القديمة ؟..

لقد شعرت بالضيق من أول لحظة ،فالشوارع مقبضة وغير نظيفة - والهواء ثقيل يقبض أنفاسك اللاهثة .. وآثار الفقر والخطيئة تزيد شعورك بالانقباض والضيق فى كل لحظة ؟..

فى الفندق الذى نزلنا فيه تبدد كل أمل فى الهدوء والراحة .. صخب وعبث وقمار ولهو .. ومساومات رخيصة .. جو خانق معتم .. حتى الطعام لم أذق منه لقمة واحدة .. لقد اختفى الجوع فجأة .. وحلت مكان غُصة فى الشعور والعاطفة ..

وفى تلافيف هذه الظلمة يسطع شعاع من نور الأمل فى صورة شاب يتقدم منحنيا على يدى الشيخين عبد الجليل وشوكت .. إنه الطالب التايلاندى عبد الله محمد ..

كان مسافرا إلى الكويت لاستئناف دراسته التى بدأت ولاحظ مودعوه ذلك فهرولوا مسرعين لالتماس البركة التى حلت ..!!

لقد ظهرت بانجوك فى صورة جديدة .. وامحت صورة القمار والبغاء والرشوة .

إن المسلم يختلف تماما عن غيره .. سر من أسرار الخالق يكمن فى أعماقه ..

أصله من تراب وفطرته من نور .. عبد تخلق بأخلاق الله واستغنى عن الدنيا .. ألقى عليه الحب .. وكسى المهابة والجلال .. نزيه برئ فى السلم والحرب .. إن إيمانه هو مركز الدائرة التى يدور حولها العالم وكل ما عداه وهم وطلسم ومجاز .. إنه الغاية التى يصل إليها العقل .. ولب لباب الإيمان والحب ..

فإلى غير رجعة .. يا مدينة الخطيئة مسكينة أنت يا تايلاند ..!!

وليحفظ الله عبد الله محمدا .. وكل مسلم يعبد الله فى هذه الأرض .

* * *

الطائرة تتهيأ للإقلاع .. لكن حركتها بطيئة .. وبليدة ..

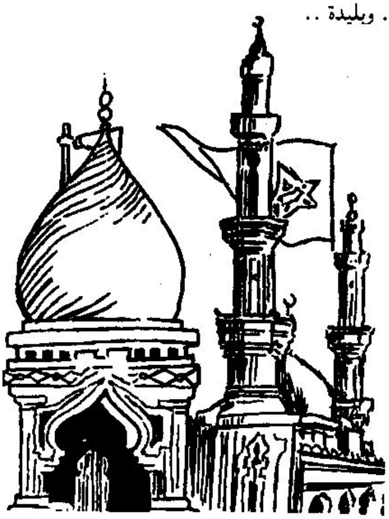

ترى هل تغيرت الأرض ؟.. أم فقدت جاذبيتها فوق تايلاند ؟.. أم أن الشياطين تسد فى وجهها الأفق ؟.. أم اعترض "بوذا" بحجمه الهائل : طريقها الممهد ؟..

وهل هذا الذى أراه حقيقة أم وهم أم أن عقلى الباطن لايزال شاردا فى قاع مدينة الفجور واللهو ..؟

طوفان تتراكض أمواجه العالية فى داخل النفس وأشباح تطارد عقلى الذى توقف عن التمييز والفكر ..!!

وأخيرا ترتفع الطائرة .. وتهدر محركاتها القوية مزمجرة .. لقد تصورتها تصرخ فى وجه عوامل السقوط المثبطة .. وتقاتل أشباح الفساد فى هذه المدينة الضائعة !!

ومن بين ثنايا الضباب الكثيف تتسلل الطائرة إلى مدارها فى الأفق البعيد ، ومن حولها تتناثر أشلاء السحاب الأسود فى طريق الصعود حتى إذا استوت فى الأفق ، وعبرت حدود بورما فى طريقها إلى الهند .. كان القمر قد ظهر متألقا من خلال أشجار النرجيل والجوز متخطيا حقول الألغام والموت قائلا لـ (آسيا) الحزينة : يا قارة الحروب والفقر ..!!

إنى أنا القمر قاهر الظلام .. وفى الإسلام .

يا آسيا النور والأمل والسلام ..

د . عبد الودود شلبى

الشيخ محمود حماية

وترجل فارس آخر من علماء الأزهر

الموت يغيب الدكتور محمود حماية بعد صراع مع المرض

غيّب الموت مؤخرا العالم الجليل الدكتور محمود حماية أستاذ العقيدة الإسلامية ورئيس قسم الدعوة السابق بكلية أصول الدين جامعة الأزهر (فرع أسيوط) ، وذلك بعد معاناة مع المرض استمرت عدة أشهر قضاها بغرفة الإنعاش فى مستشفى السلام الدولى إلى أن لقى ربه ، وصلت عليه جموع المسلمين وكبار العلماء صلاة الجنازة بساحة الجامع الأزهر الشريف .

والدكتور محمود حماية أحد كبار علماء الأزهر والإسلام البارزين فى مصر الذين خاضوا معارك كثيرة فى العقد الماضى دفاعا عن الإسلام والأزهر الشريف ، وقد ولد رحمه الله عام ١٩٤٦ فى قرية موشا بأسيوط (قرية الشهيد سيد قطب) وحفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة والتحق بالأزهر الشريف وتدرج فى مراحله التعليمية فكان الأول على جميع محافظات الصعيد حتى حصل على درجة العالمية (الدكتوراة) فى الدعوة ومقارنة الأديان من كلية أصول الدين .. وتدرج حتى صار رئيسا لقسم الدعوة بالكلية نفسها .

وقد عُرف رحمه الله بمواقفه ومعاركه التى خاضها من أجل الدفاع عن الإسلام والأزهر وأشهرها معركة تطوير التعليم الأزهرى وتقليص مناهج العلوم الإسلامية كما استنكر استقبال د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر للحاخام الإسرائيلى بمقر المشيخة .. حيث وقف د . حماية فى

كل هذه المعارك ضد اختراق التعليم الأزهرى أو تفريغه من مضمونه ومحتواه الإسلامى وتصدى لمحاولات جر الأزهر إلى مستنقع التطبيع مع العدو الصهيونى ، كما واجه حملات العلمانيين والشيوعيين ضد الإسلام والأزهر الشريف ، وكتب فضيلته - رحمه الله - العديد من المقالات دفاعا عن آرائه ومواقف علماء الأزهر فى الصحف المصرية والعربية مثل الشعب والأخبار والوفد والأسبوع والحياة اللندنية والنور .. وغيرها من الصحف ، ومن أبرز مقالاته التى أحدثت تأثيرا كبيرا (المصلحة من تخريب الأزهر؟) وفنّد فيها دعاوى تطوير الأزهر بتقليص المقررات الدينية منه ومقالته (وزير التعليم والمحجبات .. معركة أم فتنة؟) .. وتصدى بها لمحاولات د . حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم لمنع الحجاب من المدارس ..... وقد لعب د. حماية دورا كبيرا فى إحياء نشاط "ندوة علماء الأزهر" مع الدكتور عبد الغفار عزيز -رحمه الله- والدكتور حلمى صابر وعدد آخر من علماء الأزهر البارزين.

وبسبب مواقفه الجريئة من قضايا الأزهر وعدم استجابته للضغوط الرسمية بالتخلى عن آرائه أو التراجع عنها .. تعرض العام الماضى مع مجموعة من كبار علماء جبهة علماء الأزهر - مثل د . إبراهيم الخولى ود . مصطفى إمام ود . يحيى إسماعيل .. وغيرهم - لمجالس تأديب بالجامعة ، وأصر فيها د . سيد طنطاوى شيخ الأزهر على فصله (ود . إبراهيم الخولى) من الجامعة فصلا نهائيا !! .. رغم أنه كان أحد أساتذتها الكبار طوال أكثر من عشرين عاما ، وعلى أثر ذلك داهمه المرض فنُقل إلى المستشفى وكان من المفترض سفره للعلاج بالخارج لكن لاحقه قدره المحتوم ومات كمدا ولم تفلح كل جهود الوساطة التى بذلها كبار العلماء لإثناء شيخ الأزهر عن قرار فصله فمات رحمه الله وهو مطرود من الجامعة التى ظل طوال حياته أحد أعلامها .

وقد شارك فى تشييع الجنازة من الجامع الأزهر عدد كبير من شيوخ وعلماء الأزهر وطلابه وتغيب عنها شيخ الأزهر !...

وأسرة المختار الإسلامى تتقدم بخالص العزاء لعلماء الأزهر ودعاة الإسلام ولأبناء الوطن ولأسرته .. رحمه الله رحمة واسعة ورحم الله الشيخ صادق العدوى إمام الجامع الأزهر والذى ملأ الأرض علما ونورا .. لقد مات أيضا الشيخ العدوى كمدا بعد أن فصله شيخ الأزهر عن جامع الأزهر .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

هل نحن حقا نستحق عقاب الله ؟

الإعلام الراقص فى زمن القتل !!!

بقلم : سلوى عبد المعبود

الكثيرون يرتعدون خوفا وفزعا حين يصدمهم هذا السؤال .. فعقاب الله يستحق أن ترتعد له الفرائص ، وأن تفزع له القلوب والجوارح .. والكثيرون أيضا يسارعون إلى طمأنة أنفسهم والآخرين .. كلا .. كيف نستحق عقاب الله ونحن الموحدون الذين نسارع إلى المساجد حتى تكتظ ، وإلى التلهف على الحج حتى نبكى شوقا .. وإلى التشوق إلى رضا الله ... ولكن هل حقا نحن بعيدون عن عقاب الله ؟!.. وهل نحن بمنأى عنه ؟..

إن المتأمل فى أحوال هذه الأمة يصدمه حالة الغيبوبة الفكرية التى نحياها ، والتى تكاد تصيبها فى مقتل .. ذلك أن الغيبوبة الفكرية إنما تقود إلى غيبوبة وجدانية تفصل الإنسان عن الحدث الجلل وتجعله بعيدا عن الرد الإيجابى الفعال عليه .. فإذا هو يغوص بحذائه الثقيل فى دم ولده وزوجه وأمه وأبيه ثم يبتسم فى بلاهة ويضحك فى استخفاف !!..

وإذا كان الكثيرون يظنون أن تلك الحالة المؤلمة لا تتعدى أقواما معينين ، لا يؤثرون على مسيرة الأمة ولا مستقبلها ، فهؤلاء واهمون ، إذ هؤلاء الغائبون عن الأحداث الحقيقية والذين لا يملكون تصورا حقيقيا لها ، ولا يستطيعون بالتالى أن يقوموا بالرد الإيجابى المنتظر ، هم سواد هذه الأمة ، وهم ذوو المناصب العالية أو أغلبهم .. هذا إذا ما أحسنا الظن .. إذ الكثيرون يملكون التصور الحقيقى ولكنهم يفضلون الانحياز إلى الأعداء وموالاتهم .. فعلى هذا هم ربّوا وشبوا وتعلموا.

يكفى أن نذكر أن الهجمة اليهودية الشرسة الأخيرة على مسلمى الأقصى لم تجابه بما تستحق من مواجهة شعبية ورفض إعلامى وانتفاضة وجدانية تعكس مدى صدق الإيمان وقوة العقيدة وعمق الوجود الإسلامى على الساحة العامة ..

يقول روبرت فسك الصحفى البريطانى : هل ما يحدث فى فلسطين مأساة أم جريمة حرب ؟) وكان هذا فى افتتاحية صحيفة بريطانية شهيرة يتداولها البريطانيون - وهم السبب فى وجود اليهود السفاحين على أرض فلسطين .. (١)

وقرب انعقاد مؤتمر اللقاء العربى لنصرة فلسطين سُئل فلسطينى عبر هيئة الإذاعة البريطانية ماذا تنتظر من هذا المؤتمر المنعقد لمناصرتكم ؟.. فكانت إجابته صفعة قاتلة على وجه الدول العربية حين قال :

لا ننتظر منهم أى خير .. وأى فلسطينى ينتظر ذلك فهو واهم .. فقط انظروا إلى الإعلام .. يغنى ويغنى ونحن ننزف حتى الموت .... (٢)

ورد الفعل الإعلامى على سيل الدم المسلم يعكس الهوة الرهيبة التى تفصل هذا الإعلام العميل عن قضايانا الحقيقية وعن مآسينا التى أصبحت فى حكم الكوارث .. إنه الإعلام الراقص فى زمن القتل .. والحالم فى زمن اغتيال الأطفال وذبحهم ... إنه الإعلام الخائن ..

● يبكى روبرت فسك على الدم الفلسطينى المسلم ، وهو الرجل غير المسلم ، بينما فى اليوم التالى تتنمر القناة الأولى المصرية للدفاع عن جمال كليوباترا والتأكيد الواضح الصريح على لسان مشيرة موسى : "بلا شك كليوباترا كانت جميلة" ....(٣)

● وفى حين تأتى مناسبة تحرير سيناء فى جو مشحون بالصلف الإسرائيلى ، والغرور الإسرائيلى ، والقصف الإسرائيلى .. يفضل التليفزيون المصرى أن يسهر المواطنون مع فيلم يعرض الحرب من خلال أجساد النساء ..

وتمايل الرجال ، ومضامين الرذيلة وأجوائها

.... (٤)

ويصمت الإعلام فلا يذكر أسرانا الذين ذبحتهم إسرائيل فى دناءة يهودية معروفة ولا يذكر مجرد الأسف لعجزنا عن المطالبة بالقصاص .

● ويسهر نادى السينما مع فيلم قسم بالدم

.... (٥)

ليؤكد الكرامة الأوروبية والمروءة الأوروبية والعدالة الأوروبية .. وكل ذلك يتجمع فى مضمون حربى هو مضمون إسلامى صرف .. يقول : لا يمكن لجرائم الحرب أن تنسى .. ولا يمكن للمجرم امتلاك حق الإفلات ..

ولكن هذا الشعار لا يدعم إلا الصورة الأوروبية فقط إذ واقعنا يعكس ذلا صارخا يتجاهل الطفل المذبوح علنا على شاشات المرئيات العالمية ، ويتجاهل أيضا دماء غيره وغيره ، ولا يهتم إلا بلذائذه الوقتية السريعة التى هى اهتمامات الحيوان لا الإنسان .

وحين يصر الإعلام على عصيان الله تعالى بنشر الرذيلة ودعمها ومحاربة الفضيلة ومحاصرتها بإعلانات أفلامه الداعرة وأجساد نسائه العاريات .. فهو يستجلب علينا غضب الرحمن الذى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء مثل إعلانات أفلام (يمين طلاق - سوق المتعة - صعيدى رايح جاى) .

وحين يسهر الشعب المصرى مع إعلام يفرض عليه (نوال الزغبى - التى تتمايل ويتمايل معها آلاف الشباب فى خدر وغيبوبة إسلامية وصحوة شيطانية) .... (٦)

فهو يستجلب علينا غضب السماء لقوله تعالى : ﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير ﴾ .... (٧)

والاستعداد للزود عن الدين والعرض والشرف لا يكون بالعرى والانحلال والرذيلة !

والدم المسال .. إن لم يقابله حزن واستعداد للثأر فهو والله النقمة المنتظرة يصبها الله على المعرضين الذين آثروا الخروج عن دائرة الاهتمام إلى دائرة الاستخفاف والتجاهل ..

[من لم يهتم بأمر المسلمون فليس منهم] .

وبانفلات الإعلام من مسئولياته الإسلامية ومخالفته الصريحة والعلنية لأوامر الله تعالى فإنه يكون قد تحول إلى أداة تخريب وهدم تحول الشباب إلى طاقة هدامة تعرقل حركة الأمة ومسيرتها الحقيقية ، وبانحراف الشباب تصبح الأمة جسدا لا روح فيه أو بناءً سيتحول إلى أنقاض بعد حين ، وإذا بشباب الإسلام هنا منفصلون تماما عن الدم المسلم المسال هناك مما يعنى أن الأمة ستحمل إثم صمتها

وتجاهلها وانصراف شبابها عن الاهتمام والتأثير فى الأحداث .. يقول تعالى : ﴿وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر﴾ .. (٨) وبمخالفة هذه الآية الكريمة نصبح على شفا الهاوية ويتهددنا عقاب الله تعالى القائل عن هؤلاء : ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب .. قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ .... (٩)

ويتوعد الله تعالى بالعذاب هؤلاء الناكصين عن العهد .. النافرين من تحمل مسئولية الإسلام والمسلمين حين يقول : ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ .... (١٠)

وكم منا من يتحجج اليوم فيقول .. لا تنفروا .. فالحالة الاقتصادية بؤس وفاقة وسنموت من الجوع .. وينسون أن الله قادر على إذاقتنا الجوع والفاقة دون حرب .. كما فعل فى مجاعات مصر الفاطمية .

وكم منا يدعى النصح وهو يقول : لا طاقة لنا بمقاتلة اليهود ولديهم قنبلة .. بل قنابل نووية .. وينسى هؤلاء أن الله أقوى من إسرائيل ، وجنوده لا قبل لنا بها ..

﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ ... (١١)

وكم منا من يقول فى صلافة وافتراء .. دعونا من الحرب فنحن اليوم عبدة السلام .. نسجد ونركع للمؤتمرات السلمية .. والتفاوضات السلمية .. وإن كان لا ينالنا من السلم إلا قنابل الموت .. وقذائف الأشلاء .

ويقى أن نسأل .. إذا كان هذا الرد المعوج المشوه للإعلام العميل ولفئة كبيرة من مثقفى الأمة .. فما موقف البقية من الذين يتبنون رؤية إسلامية أو يتظاهرون بها ؟.. إنه لمن المؤسف حقا أن الكثير من هؤلاء يصطبغ اهتمامهم بالدم المسلم والقضايا المصيرية الإسلامية بصبغة شكلية مظهرية لا تتعدى ذلك إلى واقع الحياة ، وأقرب الأمثلة على ذلك ذلك الحفل الذى أقامه من أسماهم الإعلام طلاب التيار الإسلامى بكلية التربية جامعة الأزهر ويقول الخبر :

أقاموا مهرجانا فنيا الثلاثاء الماضى تخللته أغانى وفقرات لدعم الانتفاضة ومعرضا تحت عنوان بشائر النصر ضم ملصقات ولوحات بيعت لصالح الانتفاضة .. وأطلق الطلاب على أنفسهم اسم (جيل النصر المنشود) ، وطالبوا إدارة الكلية بالعمل من خلال أسرة طلابية تحمل نفس الاسم إلا أن إدارة الكلية رفضت وتم شطب أسمائهم من انتخابات اتحاد الطلاب .... (١٢)

ويأتي دليلنا على الشكلية والمظهرية متمثلا فى تفضيل مناصرة الانتفاضة بالمعارض واللوحات والأغانى والهتاف والحماس الصاخب الأجوف .

إن لنا أن نعترف أن خللا ما قد أصاب الشخصية المسلمة ينعكس فى رد فعلها على الأحداث ، فالجريمة تقابل بالخطو الجاد الفعال لإيقافها ثم الثأر لضحاياها وحين تختار الشخصية المسلمة هذا الرد الأجوف وهى فرحة به وظانة أنها بذلك قد قامت بما عليها فإنه يجب على علماء الأمة التوقف لمعالجة حالة الطفولة التى تحياها هذه الشخصية التى تواجه من عمليات الإبادة والذوبان والتشويه والمسخ ما يجعلها فى خطر ماحق ليس فى مكان محدد .. بل فى كل مكان .. وبين يديها تحذير إلهى واضح : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ .... (١٣)

إنه يجب علينا أن نتعلم من أعدائنا كيف يدافعون عن باطلهم بحماس ينقص دفاعنا عن حقنا .. وكيف يتسللون بباطلهم فى مثابرة لا تتوقف بينما نحن لا نقوى على حمل حقنا بضعة أمتار إلى الأمام ... وكيف ندافع عن حقنا فى تماوت وتثاؤب يقلبه إلى حق ضعيف .. أو يحوله إلى باطل صارخ لأننا لا نعين حقا .. ولا نفهمه ولا نعيش به وله ... ولا نتنفس مشاكله وهمومه ومآسيه وانتصاراته .. ولكم أن تقارنوا بين حفل صاخب، حماسى ذى صوت مرتفع يدعم الانتفاضة بالشعارات والهتافات والدعوات وربما بالبكاء والنحيب .

وبين أفراد ومؤسسات يجوبون الأرض كلها يقنعون العالم بأحقية اليهود فى الإقامة فى فلسطين ويجمعون لهم التبرعات ... ولعل من المخزى حقا أن نقارن بالأدنى والأقل .. وهو حماس وانفعال (سمير صبرى) بمشاكل الكرة واللاعب (سيجا) فى القناة الأولى المصرية ثم انتقاله إلى التهريج والرقص فوق أشلائنا وهو يزغرد الزغرودة السورية .. بل ويستخف بالوحدة العربية قائلا : (وحدة ما يغلبها غلاب) ... ووسط المجتمع المخملى المترف المرفه نساءً ورجال .

وعلى أنغام أجنبية وكلمات أجنبية تعكس الموالاة النفسية والإعلامية والاجتماعية يتراقص الجمع والنساء العاريات يتحدين شرع الله تعالى وحياء المؤمنات .. ويعقبها تمايل آخر على أنغام عربية وكلمات عربية وشاب داعر فاجر يغنى لمعشوقته (حبيبى عينيه حلوين) ويتمايل مع الحاضرين ..... (١٤)

ألا يحق لنا أن نتساءل : ألا يستجلب لنا تجاهل الدم المسلم ، ونسيان كارثة الإسلام فى فلسطين عقابا رادعا من الله تعالى كما

استجلب علينا تجاهل استغاثات مسلمي البوسنة العقاب الرادع لنا بالزلزال الماضي ؟!

ألا يستجلب الرقص فوق أشلاء أخوتنا عقابا عاما كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها أنهلك وفينا الصالحون ؟.. فقال لها رسول الله ﷺ : نعم .. إذا كثر الخبث ؟ .... (١٥)

ألا تستدعي خطورة المرحلة أن يرفع العلماء أصواتهم ليهزوا النائمين ويوقظوا الغافلين مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (إنها ستكون بعدي أثره وأمور تنكرونها .. قالوا يا رسول الله كيف تأمر من أدرك ذلك منا .. قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم........................(١٦)

إننا نسأل الله تعالى أن لا يسلط علينا شرارنا وألا يؤاخذنا بأعمال السفهاء منا وأن يقصف أقلاما تعتدي على حرماته أو تستهين بها ... ونبرأ إليه تعالى من عجزنا والذي لا حيلة لنا فيه ، ونستغفره لتقصير يُفرض علينا .. ونعاهده أن لا نكف عن التحذير من غضبه تعالى .. تقربا إليه ورجاءً أن لا تمسّنا .. إنه وحده سميع الدعاء .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

سلوى عبد المعبود

الهوامش :

١ - ٢٠٠١/٤/١٦
٢ - ٢٠٠١/٤/١٠
٣ - برنامج آخر كلام ٢٠٠١/٤/١٧
٤ - فيلم أغنية على الممر .... القناة الأولى المصرية (ذكرى تحرير سيناء)
٥ - نادي السينما ٢٠٠١/٤/٢٨
٦ - سهرة تليفزيونية ٢٠٠١/٤/١٦
٧ - سورة التوبة : الآية ٣٨
٨ - الأنفال : الآية ٧٢
٩ - التوبة : الآية ٦٥
١٠ - التوبة : الآية ٨١
١١ - المدثر : الآية ٣١
١٢ - جريدة الأسبوع ٢٠٠١/٤/٢٠
١٣ - التوبة : الآية : ٣٧
١٤ - القناة الأولى ٢٠٠١/٥/٣
١٥ - حديث صحيح
١٦ - حديث صحيح

لا يهود فى روسيا مستقبلا
والمسلمون غالبية فى الجنوب

توقعت صحيفة "أزفستيا" أن تخلو روسيا من اليهود خلال مئة سنة .. وذكرت أن المسلمين فى جنوب البلاد سيشكلون غالبية السكان .. واستندت الصحيفة فى توقعاتها إلى دراسة أعدتها لجنة يهودية - أمريكية تناولت تناقص تعداد اليهود الذى كان بلغ فى الاتحاد السوفيتى ٥,٤ مليون نسمة إبان الحرب العالمية الثانية ..

وأشارت إلى أن العدد سيهبط خلال ثلاثين عاما إلى ٢٣ ألف يهودى وخلال نصف قرن سيبقى ثلاثة آلاف فقط لتصبح روسيا خالية تماما من اليهود بعد ثمانين عاما ..

وتشير التقديرات إلى أن عدد اليهود فى روسيا لا يتجاوز حاليا ٥٥٠ ألف نسمة فى الوقت الذى كان عددهم عام ١٩٨٩ يزيد على مليون ونصف مليون ..

ولم يعد خافيا الجهد الذى بذلته المنظمات الصهيونية قبل وأثناء حكم الرئيس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف لفتح أبواب الهجرة أمام اليهود وحاولت هذه المنظمات تصوير أوضاع اليهود بأنها مأسوية ونجحت ضغوط الدول الغربية وخصوصا أمريكا فى حمل القيادة السوفيتية على رفع بعض القيود عن الهجرة فى مطلع السبعينات ..

ومع وصول جورباتشوف إلى السلطة فتحت أبواب الهجرة على مصراعيها .. وعملت المنظمات الصهيونية على دفع اليهود إلى الهجرة بوسائل مختلفة لم تقف عند حدود الدعاية التى صورت إسرائيل كـ "واحة الرفاهية" .. بل تعدت ذلك إلى أعمال غير قانونية عمدت أحيانا إلى إكراههم على الهجرة من دون الالتفات إلى رغبتهم .. كما مارست فروع الوكالة اليهودية فى روسيا أعمال التجسس والتهريب التى كان أخطرها المحاولة التى تم الكشف عنها عام ١٩٩٨ للحصول على صور فضائية لمواقع استراتيجية عربية من أحد العاملين فى الاستخبارات العسكرية الروسية ..

عمر يظهر فى القدس

د . نجيب الكيلانى

(٢)

امتد بنا الطريق ، وأنا أشعر بسعادة غريبة ألست الرجل الموعود الذى كان له شرف الصحبة مع رجل ذكره يتردد على حقب التاريخ كأعظم ما يكون الرجال ، وأنا أسير إلى جواره لا أكاد أصدق ، سألنى صديق ذات يوم عن العصر الذى أتمنى أن أعيش فيه ، وكنت أقول له دائما إننى أعشق عصر النبوة وما فيه من رجال وصراع ، وهذا عبق من عطر النبوة ، إننى مشفق من المستقبل ، لكنى سعيد برغم الهواجس التى تلعب برأسى .

وعلى يسار الطريق قامت شجرة فارهة تتدفق حيوية ، وتتدلى أغصانها الخضراء حتى تكاد تلامس الأرض ، وإلى جوارها خيمة صغيرة مزركشة تتراقص فيها الألوان المختلفة والستائر الفضية ، وتحت الشجرة جلس فتى وفتاة ، وكانت يد الفتى تطوق عنق جارته الفاتنة ذات الشعر الذهبى ، ورأساهما متلاصقان ، ويدها فى يده الأخرى ، وكانت نظراتهما تقطر رقة ونشوة ، لا يكادان يشعران بما حولهما ، يهومان فى دنيا حلم

رقراق جميل ، وأمامهما زجاجة بها سائل قاتم اللون وكأسان ، اتسعت عينا عمر دهشة ، وهتف :

- ما هذا الذى يحدث على قارعة الطريق ؟

- طقوس الحب يا أمير المؤمنين .

زمجر مهتاجا :

- لا يصح أن يجلس زوج وزوجة هكذا أمام الناس .

تحيرت ، ولم استطع فى البداية أن أعلق ، لكنى قلت :

- إنهما صديقان .. هذا إيلى وصديقته .. إننى أعرفهما ..

هدر : - ماذا تعنى ؟؟.. بأي حق ترتكب هذه الدعارة ؟..

- لا شأن لنا بهما يا أمير المؤمنين .

- اصمت يا رجل .. الساكت عن الحق شيطان أخرس ، هذا انحطاط لا مثيل له يجب أن يساقا إلى حيث ينالان الجزاء العادل .

واندفع عمر نحوهما فى ثورة ، ثم وجد غصن شجرة جافا ملقى فى الطريق ، فالتقطه وأمسك به فى تحد ، وما أن بلغ مجلسهما حتى صاح :

- إنكما تمعنان فى السفه والقحة .

فرطن الفتى بكلمات لم يفهم عمر معناها ، ثم مال إلى فتاته يقبلها عابثا ساخرا ، وأمسكت بذراع الخليفة ، وأخذته إلى الوراء خطوات وقلت :

- أيها الخليفة .. لا شأن لك بهما ، وليس من اللائق أن تفسد عليهما متعتهما ، إن لهما الحرية كل الحرية فيما يفعلان ، هذا حقهما ، وإن لم تنصرف فلسوف يبلغان عنك الشرطة .

ضرب عمر كفا بكف وقال :

- فى أى مكان نحن ؟.. أنا لا أكاد أصدق ما يجرى ، من أحق بالعقاب والمحاكمة ، أنا أم هما ؟؟.. لا شك أنهما أصيبا بلوثة من الجنون .. إنهما ينشران السوء والفاحشة ..

عدت إلى الإمساك بيده المرتجفة وقلت ضارعا :

- هما يهوديان ، ومن أصحاب الأمر والنهى ، وما علينا إلا أن ننصرف وإلا.

نزع يده فى عنف وقال :

- يهوديان ؟؟ .. لم تتغير طبائعهم منذ قديم الزمان ، كانوا بالأمس يستترون فى

بيوت الدعارة والمجون ، واليوم ينشرون فسقهم علانية .. إذا لم تتركني فسأضربك أنت الآخر ..

حاولت أن أشرح الأمر من جديد ، فاليهود يحكمون المدينة ومعظم النساء في عصرنا سافرات ، وفتيات الجيل وفتيانه لهم حق التصرف بحرية إلى مدى بعيد ، أصبح ذلك أمرا يكفله القانون ، والتصدي لهذا "الحق" يجر إلى عديد من المتاعب ، لكن عمر كان يغلي من الغضب ، وصاح صيحة زلزلت الفتى والفتاة ، فساد وجههما الشحوب والخوف وانقض عمر عليهما ضربا بالعصى ، مما جعلهما يفران مذعورين ويلجآن إلى "بيارة قريبة" بعد أن تحطمت الزجاجة والكأسان ، بينما وقف عمر يلهث غاضبا ، ويهز العصا في يده ، وتمتم :

- أرى الفساد قد استشرى بصورة مزعجة.

قلت :

- طريق العودة إلى الله تسده صخور هائلة من الفساد ..

- المؤمن الحق لا يعرف المستحيل ، تخر الجبال لتقواه صاغرة ..

ثم التفت إلى الزجاج المحطم والسائل المراق وقال :

- ما هذا ؟؟..

- خمر

عض على شفتيه في ذهول :

- دعارة .. وخمر .. في ضوء النهار ولا يخافان إقامة الحد عليهما ؟؟..

قلت :

- لك الله يا عمر !! لقد أبطلت الحدود ، والخمر تباع في كل مكان ، الحكام يشربونها في الحفلات العامة وفي بيوتهم ، يتساقونها علانية ، وكأنهم يساقون أقداحا من القهوة .. وبيوت الدعارة تأخذ تراخيص من الحكومة ، ويحميها القانون .. لقد أصبح للفساد قوانين ترعاه ..

وابتلعت ريقي ثم استطردت :

- ليس هنا فحسب ، بل في أغلب أنحاء الدنيا .

التفت إلى قائلا :

- هل أنتم مسلمون حقا ؟؟

- أجل .

- وما دليلك ؟؟

- مازلت أقول الشهادتين .. لكن ..

- لكن ماذا ؟؟

- اليهود يحكمون .. ورئيسة وزرائهم امرأة يقال لها جولدا مائير ..

قال عمر وهو يلوح بيده :

- أين خليفة المسلمين فى المدينة ؟؟.. وأين ولاتنا فى الجزيرة العربية والعراق وفارس ومصر ؟؟.. أين ألوف الألوف من حملة الرايات والمصاحف يا جيل الهوان والسخريات والعبث ؟؟

حاولت تهدئة خاطره ، كنت أرى أن يعتصم بالهدوء فى مواجهة واقع أليم يفيض بالتحديات والانحرافات ، ولم يكن هناك من وسيلة سوى أن أوضح له الحقائق فى كلمات سريعة .. حاولت إعطاءه صورة لما حدث فى عصرنا للمسلمين ، كيف ضعفوا واستخذوا ، وكيف داهمتهم أوروبا بعلمها وخبثها وأحدث آلات الدمار التى استحدثتها ، فاحتلت بلادهم سنين طويلة ، وكيف نفثت سمومها فى فكرهم ودينهم وتراثهم ، فأثارت فى صفوفهم البلبلة والاضطراب ، وملأت حياتهم بالشكوك والأكاذيب ، ثم كيف تيقظ المسلمون ، وحاولوا استرداد حرياتهم وبلادهم ، وشرحت له ما جرى للخلافة من وهن ذاتى ، وكيف تآزرت قوى الشياطين للقضاء عليها ، ثم القيم الجديدة التى تحكم عصرنا ، وكيف تحول المسلمون إلى مجرد مدافعين عما تبقى لهم من شئ قليل ، وكيف انقسم الحشد الواحد إلى قوقعات صغيرة معزولة ، تجتر كل واحدة أساها ، وتنعى حظها ، ولم يزد عمر على أن قال والدموع فى عينيه :

- عادت الجاهلية كأعنف وأخبث ما يمكن .

أخذت أهز رأسى وأقول :

- نحن فى حاجة إلى نبى جديد .

صاح محتدا :

- اصمت وإلا قطعت لسانك .. كلماتك تنضح بالكفر والغباء .. ألا تعلم أن رسول الله خاتم النبيين ، وأنه لا شئ غير القرآن .. تلك دعارة فكر لا تقل غرابة عما رأيته اليوم بين الفتى والفتاة .. تبذلون الكلمات بسخاء أبله .. نبى جديد .. يا للمهزلة !!.. وماذا يقول ؟؟.. الكلمة الأخيرة كانت وستظل تتردد فى أرجاء الدنيا ، برغم ما تعانون من خيبة وفشل .. لست أول جيل يجيئ ولا آخر جيل .. الآن عرفت سبب انتصار اليهود عليكم ، ونشرهم الفجور بين

ظهرانيكم .. الخوف يلد الرذيلة .. والهزيمة تمسخ ضعفاء الإيمان .. أنتم جياع برغم رصيدكم الضخم من الزاد .. تدقون الأبواب الصلدة في بله ، ولو بحثتم عن المفاتيح لتفتح أمامكم باب النعيم الأبدى ..

"كالعيش فى البيداء يقتلها الظما

والماء فوق ظهورها محمول"

اسمع يا فتى .. إن من يتوعد التقاط الفتات من موائد الأغنياء ، تسحره كلماتهم وفكرهم وسلوكهم ، ويحاول أن يقلدهم "وفى التقليد الأعمى فناء العقل والروح .. هكذا يتحول السادة إلى عبيد .. وإذا أردت أن تعرف كيف يصبح العبيد سادة فتذكر قصة أخي بلال بن رباح .. لقد سخر من نتن الفكر لدى أساطين الكفر فى مكة .. ضربوه .. عذبوه .. لكنه لم ينحن ليلتقط الفتات .. أتفهمنى ؟؟؟

قلت مطأطئ الرأس :

- أجل ..

فقال : فلنمض فى طريقنا ..

وأمسك بيدى ، وسرنا صوب المدينة ، كان يرتجف غضبا ودهشة ، ويحث الخطى مسرعا ، وسيما الحنق والتوتر تصبغ حركاته ، وترتسم على ملامح وجهه ، وعند مدخل المدينة كانت توجد نقطة حراسة إسرائيلية ، وقدم نحونا جندى يحمل مدفعا رشاشا وقال بلكنة عربية عرجاء :

- الهوية ..

ابرزت هويتى فتصفحها بدقة ، ثم ركز نظراته على وجهى بعض الوقت ، وهز رأسه ، ثم قذف بها إلىّ فى استهتار وتحد ، وبعد ذلك اتجه صوب أمير المؤمنين ، وأنا أرتجف من الخوف ماذا سيفعل ؟.. وكيف سيواجه عمر هذا الموقف الشائك ؟؟

وتصورت القصة التى تحدث دائما ، لسوف يسوقونه إلى مقر رجال الأمن ، لعمل التحريات اللازمة ، وربما يلقون به فى معتقل من المعتقلات الكثيرة ، أو يحكمون عليه بالسجن لبضعة شهور ، لماذا لم أتدبر الأمر كما يجب ؟؟.. ألم يكن باستطاعتى أن أزيف له هوية ؟؟.. وكيف أقف مكتوف الأيدى أمام هذا المشهد : جندى أرعن يتعرض لخليفة رسول الله .. أعدل من حكم الأمة ، وأقوى من ساس الأمر بعد الرسول ، وقاهر الفرس والروم ،

وباعث نور الرسالة الإلهية فى المشرق والمغرب .. أية مهزلة توشك أن تحدث ؟؟..

- وأنت .. أين هويتك ؟؟

- بلا هوية .. أنا معروف .. لابد أن أمر ..

قالها عمر ، وهو يرصد الجندى بنظرات قاهرة لا تقاوم .. تراجع الجندى بضع خطوات للوراء ، ودارت بى الأرض لسوف ينطلق المدفع الرشاش ، ويحيل الخليفة إلى أشلاء ودماء فى لحظات ، وآلات العصر الجهنمية يا أمير المؤمنين لا تفرق بين الأطهار والأشرار ، ولا تميز المؤمنين من الكافرين .. إنه عصر الملحدين والرافضين .. فلأنقض على الجندى كى أمنعه من ارتكاب الإثم الأكبر .. وفتحت عينى لأرى عمر يمضى فى طريقه مرفوع الرأس والجندى يعود إلى خيمته دون اعتراض .. لماذا مضت الأمور على هذا النسق الغريب ؟!.. لا أدرى ..

ولم نكد نبتعد بضع خطوات ، حتى سمعت نداءً وصياحاً خلفنا ، فالتفت فإذا بسيارة ، وبها عدد قليل من رجال الشرطة وبها "إيلى" وفتاته ، العاشقان اللذان كانا يتساقيان كؤوس الهوى تحت الشجرة .

وقالت الفتاة وهى تشير بسبابتها المخضوبة صوب عمر :

- إنه هو .. هذا الشيخ الرجعى وأمثاله لا يعرفون أصول اللياقة والأدب ..

اندفع عمر نحوها بعصاه وهو يزمجر :

- أيتها الملعونة .. أتجرؤين على الظهور أمامى مرة ثانية ؟؟.. لو أن بالمدينة رجالا حقيقيين لجلدوك أنت وذلك العربيد لتكونى عبرة لغيرك ..

انحنى الشرطى أمام عمر فى ابتسامة ماكرة وقال :

- معذرة أيها الشيخ الجليل .. يجب أن تصحبنا إلى مركز الشرطة ..

أشار عمر بإبهامه إلى صدره قائلا :

- أنا ؟؟..

- أجل ..

هز عمر رأسه قائلا :

- فهمت .. تطلبوننى للشهادة .. يبدو أن بكم بقية من نخوة ..

ضحك الشرطى حتى كاد يستلقى على ظهره ، ثم اتخذ سمت الجد والتحدى وقال :

- نحن أساتذة العالم .. ولم نعد بحاجة إلى عربى يعلمنا السلوك والآداب .. أنت

متهم بالتدخل فى شئون الآخرين ، ومتهم بالاعتداء بالضرب على فتى وفتاة بريئين ..

قال عمر فى دهشة :

- بريئين ؟؟.. أنا متهم ؟؟.. أنت تخلط .

ووضعت الفتاة ذراعيها حول عنق فتاها وقالت وهى مستغرقة فى الضحك :

- إيلى يا حبيبى .. إن هذا الرجل ظريف للغاية .. لكأنه من أهل الكهف .. إنه تحفة نادرة ..

امتدت يد عمر إلى عنقها ، وجذبها فى عنف وهو يقول :

- لا يمكن أن أرضى بهذا التحدى للآداب والشرائع ..الصمت فى مثل هذا الموقف جريمة ، ولوكان حولك ألف ألف شرطى .

وحاول ثلاثة من رجال الشرطة تخليص الفتاة منه دون جدوى ، فأخرج إيلى مسدسه نحو عمر قائلا :

إذا لم تتركها فسوف أفرغ الرصاصات فى رأسك ..

واندفعت إلى عمر كالمجنون وقلت ضارعا :

- اتركها بالله وإلا حدثت كارثة ..

وفى لمح البصر ضرب عمر المسدس من يد إيلى فانقذف إلى بعيد ، وهربت الفتاة إلى إيلى المرتبك الحانق وأخذت تقول :

- لقد كاد يقتلنى يا إيلى .. إن فى يده قوة مهولة ..

ثم أخذت تضحك وتنقل نظراتها بين وجه إيلى الحانق ومسدسه الملقى بعيدا ، وقالت :

- يستطيع هذا الرجل أن يسحق ثلاثة مثلك فى لحظات ..

ثم عادت إلى عمر تتحسس ذراعيه ويديه وتقول :

- أنت كهل مثير للغاية .. إننى أدعوك للعشاء معى ..

ركلها عمر فى عنف وقال :

- خذوا هذه الكلبة عنى ..

وعلى الرغم من أنهـا ارتمت على الأرض ، إلا أنها كانت تبتسم فى دهشة غريبة ، وتمتم إيلى فى غيظ ، وقد رأي ثيابها منحسرة ، ونظراتها الولهى مركزة على الشيخ :

- ما هذا الذى تفعلين يا راشيل ؟؟

قالت وهى تهم بالنهوض ، ثم تنفض التراب عن ثيابها :

- لكنى أحببته يا إيلى .. أعنى أننى معجبة به .. أوليس لى الحرية فى أن أعبر عن حقيقة شعورى ؟..

- لا مجال للهذر والعبث فى هذا المجال ..

لم تعره التفاتا ، وواجهت ضابط الشرطة قائلة :

- لقد تنازلت عن حقى ، وسحبت الشكوى

ثم توجهت إلى "إيلى" بنظراتها قائلة :

- وإيلى هو الآخر معى فى ذلك ..

فأخرج الضابط ورقة من جيبه ، وطلب منهما التوقيع .. وقلت لعمر وأنا فى قمة السعادة :

- نستطيع الآن أن ننصرف بحمد الله .

كان عمر لا يستطيع فهم اللغة التى يتحدثون بها ، وتمتم :

- ماذا جرى ؟؟..

- لقد نجانا الله ..

- وهذان ؟؟.. ألا ينالان جزاءهما ؟؟

- يا أمير المؤمنين ..

- لن أغادر هذا المكان قبل أن ..

لكنه توقف عن الكلام حينما رأى سيارة الشرطة تنطلق مسرعة ، ومن خلفهما الدراجة البخارية التى يركبها "إيلى" و "راشيل" ومن خلفهما زوبعة من الغبار الخفيف .

وتمتم عمر :

- لقد هربا ..

وقلت : لقد نجونا ..

لكزنى عمر فى ضيق قائلا :

- تصرفك لا يليق بمسلم .. أنت شديد الخوف !!.. ثم تنهد ، ونظر إلى السماء ، كانت الشمس تتوسطها والجو شديد الحرارة ، وقال عمر فى عجلة :

- لقد حان وقت الصلاة .. اليوم يوم الجمعة .. هيا إلى أقرب مسجد لنؤدى الفريضة .. أم أنكم ممنوعون من تأدية شعائر الله فى المساجد ؟؟

د . نجيب الكيلانى

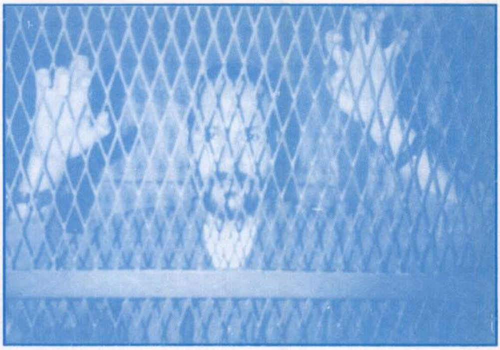

الفنان عصام حنفى يفوز بجائزة دولية

فـاز الفنان عـصـام حنفى بجائزة دولية ، تُمنح لأول مرة لمصرى وهى جائزة تُمنح للذين أسهموا بشجاعة فى الدفاع عن الحريات ..

وأسرة المختار الإسلامى تتقدم بالتهنئة لابنها الفنان عصام حنفى الذى تربى فى أحضانها وشرب من معينها وتتمنى له المزيد من التقدم والنجاح .

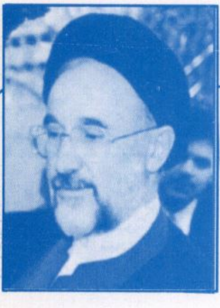

من القاتل ؟
وفاة مهندس صواريخ إيرانى بارز فى ظروف غامضة

أعلن التليفزيون الإيرانى أن مهندس صواريخ إيرانيا بارز أسهم فى تطوير برنامج الأسلحة الإيرانية محلية الصنع توفى فى ظروف غامضة ولكنه لم يذكر مزيدا من التفاصيل .. وذكر التليفزيون أن الكولونيل على محمودى مماند الضابط بسلاح الطيران فى الجيش الإيرانى طور تسعة برامج أسلحة رئيسية بينها صواريخ وقاذفات صاروخية محمولة على طائرات هليكوبتر .. وأضاف أنه ساعد فى اتخاذ خطوات كبرى نحو تحقيق اكتفاء ذاتى فى تصنيع الأسلحة ، فى الوقت الذى تفرض فيه الولايات المتحدة عقوبات على إيران من بينها حظر السلاح .

وكانت الولايات المتحدة وإسرائيل قد أعربتا عن قلقهما من تطوير إيران لتكونولوجيا الصواريخ بمساعدة مزعومة من روسيا والصين وكوريا الشمالية ... إبحث عن اليهود !!

آخر الكلام

عائدون

هرم الناس .. وكانوا يرضعون
عندما قال المغنى :
عائدون
يا فلسطين ومازال المغنى يتغنّى
وملايين اللحون
فى فضاء الجرح تفنى
واليتامى .. من يتامى يولدون
يا فلسطين وأرباب النضال المدمنون
ساءهم ما يشهدون
فمضوا يستنكرون
ويخوضون النضالات
على هز القنانى
وعلى هز البطون !
عائدون
ولقد عاد الأسى للمرة الألف
فلا عدنا
ولا هم يحزنون !!

أحمد مطر